بَيْنَ الْحَاءِ وَالْبَاء

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

❋

darjundi46@gmail.com

www.for-alquds.org

بَيْنَ الْحَاءِ وَالْبَاء

نبيهة راشد جبارين

❋

الطبعة الأولى (2020).

❋

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

بَيْنَ الْحَاءِ وَالْبَاءِ

تأليف: نبيهة راشد جبارين

الطبعة الأولى

2020 م

"فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"

وفي القلب ترنيمة

" الله محبّة "

"الحبُّ هوَ

الجِسرُ الذي

بيْنكَ

وبيْنَ

كُلِّ شيءٍ "

جلال الدّين الرّومي

الفهرس

الحبُّ لغةُ العطاء ..... - 9 -
السِّرُّ ..... - 10 -
الحُبُّ هَمْسُ السِّحر...! ..... - 10 -
الحُبُّ تَرْنيمَةٌ شَفّافةٌ وصلاة ..... - 10 -
" فِي الْبدءِ كانَتِ الكَلِمَةُ " ..... - 11 -
الحُبُّ بَيْنَ النَّاس ..... - 12 -
طيْفٌ مِمّا قيلَ في الحُبّ ..... - 13 -
الحبُّ في حدائق الشِّعر ..... - 14 -
أقوالٌ في الحُبِّ ..... - 18 -
آياتُ الحُبِّ في السّماء: ..... - 25 -
آياتُ الحُبِّ في الأرْض: ..... - 25 -
آياتُ الحبِّفي قلبِ الأرض: ..... - 25 -
الحُبُّ في القُرْآن الكَريم: ..... - 26 -
الغَرام ..... - 57 -
الحبُّلغةُ الرُّوح ...! ..... - 59 -
أسرارُالحُبّ ..... - 60 -
الحُبُّ عالمٌ مفروشٌ بالورود ..... - 61 -
فلْنُحبَّ ..... - 61 -
الحبُّ في الكتاب المقدّس ..... - 66 -
آيات تلتقي على المحبّة ..... - 67 -
فهل بعدَ أو قبلَ هذا الحبِّحبٌّ ...!! ..... - 70 -
إنّ الحبّ عاطفة مشروعة، وليست ممنوعة ..... - 71 -
أحبّوا...! ..... - 73 -
أحبّوا الله كماأحبّكم ...! ..... - 73 -
عيد الحبّ (الفالنتاين) ..... - 74 -
" فَجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشي عَلى استِحْياءٍ" ..... - 75 -
"الحَياءُ شَطْرُ الإيمان". ..... - 75 -
هَمَساتٌبَيْنَ الْحاءِ وَالْباءِ...! ..... - 75 -
المصادر ..... - 77 -

تعريف بالكاتبة ..... - 79 -
مؤلّفات الكاتبة ..... - 81 -
سلسلة قوس قزح : ..... - 83 -

الحبُّ لغةُ العطاء

تبارك الله (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى *) (2، 3 - سورة الأعلى)

قدّر لجميع مخلوقاته، على اختلاف أنواعها وأصنافها، مقوِّمات الوجود، والاستمرار. وجعل الإنسان سيِّدها جميعاً، وأودع فيه الحياة والنجاة، برمز سرّيٍّ، خفيٍّ، لطيفٍ، شفيفٍ، هو (الحبُّ)، فإذا ما فعّله الإنسان، رسم له طرائق النّجاح، والسّلام، في كلِّ ما يفعل، ومع كلّ مَن وما يحيط به من مخلوقات في هذا العالم الواسع.

أفلا ننظر كيف بالحبِّ ينزِّل الله الغيث ثمّ تطلق الأرض نباتاتها.
وبمحراث الحبِّ يزرع الفلّاح ثمَّ يحصد ثمار زرعه.
وببلسم الحبّ يعالج الطّبيب ثمّ يفرح لشفاء مريضه
وبسِفْر الحبّ يُعلّم المعلّم ثُمَّ يتباهى بنجاح طلّابه
وبقانون الحبّ يحكم الحاكم ثمّ ينعم بالطّاعة والتّعاون
وبدارَة الحبّ يقيم الأب أسرةً ثمّ يُحفَظ له احترامه وإعزازه.
وبالحبِّ تحمل الأمّ وتنجب وتُرضع وتربّي ثمّ تكون الجنّة تحت أقدامها.

هذه العاطفة الخلّاقة- الحبّ- علينا أن نضعها في مقدّمة أفكارنا، وأقوالنا، وأفعالنا، فبها يعمَر كيانُ الإنسان ويعمَر الكون، وتُغلَق أبواب الشرّ، والعنف، والحروب، وتُفْتَحُ مغاليق القلوب، وتبثُّ روح المحبّة والتّسامح والعطاء.

استوقفتني الحياة على عتبة طول الأمل، فوجدتها تفضي الى فراغ، لأن هناك نهاية تفاجئ من يحاول تجاوزها. لا خلود لأحد في هذه الحياة، فلمَ التّخاصُم والعِداء...؟ ولِمَ لا نستثمر حياتنا بالتآلف والمودّة، فتكون حياتنا كأنّها مرحلة من مراحل الجنّة...!؟

هذا ما استدرجني للكتابةفي هذا المجال الواسع ، علّها تكون ومضة حبّ لمن يقرأ كتابي، فينحو الى هذا السّبيل الجميل، الذي يفضي إلى مرضاة الله، وهي بدورها تفضي إلى السّعادة الحقّة... والله وليُّ التّوفيق.

السِّرُّ

كثيرًا ما نتساءل عن سرّ الحبّ الذي لا يخلو منه خطاب، أو جواب. وذكره يملأ ملاءاتاللّيالي همسًا وسهرًا. وما انفكّ يملأ أفق النّهار ضجيجًا وجمالًا واهتمامًا.

فما هو "الحبّ"؟

هذا الأمر الذي ملأ الدُّنيا، وشغل النّاسكبيرهم وصغيرهم، سيّدهم ومولاهم، شبابهم وشيوخهم، ذكورهم وإناثهم! .

هو سرٌخفيٌّ روحانيٌّ لا تدركه إلّا الرّوح ...ولمّاكانت **(الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي)**1فالحبُّفي معيّة الرّوح صار سرًّاإلهيًّا؛ (مِنْ أمرِ ربّي)أيضًا.

الحُبُّ هَمْسُ السِّحر...!

لأنّهاكلمة سحريّة، أودعها الله في القلوب، لتغيّر حقيقة الإنسان، من جُبْلةٍ الى روحٍ نورانيّةٍ لطيفةٍ.فما أن يهمس الحلق بحائها، حتّى يغار الفم عليها، ويغلق على بائها الشّفتين، ليحتفظ بنصيبٍ منها، لأنّها إكسير سعادة الرّوح وغبطتها، وهي نسمة الحبور برقّتها، كما أنّها سرّ العلاقة الرّوحانيّة وخلاصتها، سواءًمع المحبوب المنظور من بني البشر، أممعكلّ ما يجنّح الرّوح من أسرارالجمال، أو كلّ ما يؤمن به أو يتبنّاه الإنسان من قيم إنسانيّة سامية.أوأن يكون وسيلته ليرتقي بهذا الحبّ أعلى الدّرجات؛ وذلك لا

يتأتّى إلا إذا وجّهنا خالص الحبّأوّلاً للمحبوب الأعلى، غير المنظور، الأوّل والآخر؛ الله (جلّ جلاله) وهو الواهب لنا هذه الحياة، وكلّ مَن نحبّ، وما نحبّ، وهو الواهب لنا من بين فيض هباته هذاالشّعور النّبيل المسمّى-الحُبّ.

الحُبُّ تَرْنيمَةٌ شَفّافةٌ وصلاة

الحبّهوهذه التّرنيمة البلّوريّة الشّفّافة، التي تمتزج كلّ ألوان السّعادة والفرح في قلبها، وتذوب في طيفها، فتبثّالغبطة والسّرور، والجمال والطّمأنينة والحبور، في كلّ انعكاساتها.

وهو هذه الكلمة الّتي جعلت الأرضتشرق بنور ربِّها، وتتغنّى بجمال جرس حروفها، وجعلت السّماءتزدان بمصابيح وميضها، فعمّفيهما فرح

العطاء، وعمّت فيهما المسرّة، لأنّهما بسرّها خُلقتا، وبسرّها دامت فيهما ترنيمة السّعادة، وتسبيحة الحبور، وذلك لأنّه:

" فِي الْبدءِ كانَتِ الكَلِمَةُ "

فأيُّ كلمة هذه التي كانت...؟

هي الكلمة التي بدأ الله بها خلق الأرض والسّموات وما فيهما، وما بينهما، كلمة" كُنْ"الصغيرة في مبناها، الكبيرة المعطاء في معناها، الفوّاحة بعبقها، المذهلة والمبهرة في نتاجها ونتائجها، ممّا لايستطيع العقل البشريّ والحواسّ الخمس أن تحيط بمعرفتها، فهناك من المخلوقات ما يصل إليه علم الإنسان، ويكاد يحيط به، وهناك ما يصل إليه هذا العلم، لكنّه لا يحيط به، وهناك الكثير، مما لا يصل إليه علم الإنسان، وبالطّبع فهولا يحيط به.

ولو لم تكن تلك الكلمة التي خُلقت بها الأكوان مغموسة بنور الحبّ الإلهيّ، ومتوازنةمعه، لَمَا تفتّقت عن أسرار خلق وانضباطالأرض والسّموات، وما فيهما وما بينهما، ولَمَا انتثرت بفعلها النّجوموالكواكب في مواقعها، تلك الّتي أقسم بها خالقها- ربّنا سبحانه وتعالى – فيقول في محكم كتابه الكريم:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)[1]

وذلك لكي يلفتانتباه الخلق إلى عظمة هذه المخلوقات، وأهميّة ومركزيّة مواقعها، وما لها من تأثير على مجرى الحياة والاستمرارية فيها، والتي يقصّر عن إدراكها، أوالوصول اليها - عينًا أوعلمًا-عقلُ الإنسان ومداركه، هذه المواقع التي رسمتها يد العناية في السّماء- وما أدراك ما السّماء- بكلّ دقّة وجمال، تزيّنها وتنير ظلمة اللّيل فيها. وكذلك لَمَا كان"الشّمسُ والقمرُ بِحُسْبان"، ولَمَا ضجّت الأرض بأنواع الحَيَوات، من إنسان ودوابّ، ونبات وحشرات وهوامّ؛ حتّى الميكروبات بأنواعها، وكلّ المخلوقات غير المرئيّة لنا بأعيننا المجرّدة، وكذلك الجمادات التي هي أيضًاتتوافق وتتناسق فيما بينها، بلغة وأسرار داخليّة خاصّة بها، وهيجميعًاتأخذ مكانها، وتؤدّي مَهمّتها بدقة وأمانة، في الحفاظ على الحياة، ودفق استمرارها.

وبذلكيساهم كلّ مخلوق من خلق الله في إكمال مسيرةالحبّ، التي شاءها ووضعها الله في لوحة المعمورة.

إذ أنّ الحُبّ هوالذي سرى في شرايين الحياة، وبثّ الحيويّة في كل خليّة من خلاياها، وسرى في نسيج الكون، ورتق كل ذرّة من ذرّاته، ومن ذرّات الكائناتفيه، ثمّ بثّ أنفاسه بين جميع المخلوقات، ليجعل بينها علاقة التوافق، والتّكامل، والتّكافل، والاتّزان، لكي تنطلق الحياة وتستمرّكما أرادها الخالق (تبارك وتعالى)بفضل هذا الأثير الخلّاق.

فأين نحن من هذا النّور المسكوب في هذه الكلمة ...!

هذا النّورالذي يضيء دياجير النّفوس، كما يضيء دياجير الكون، ويشرق في سرائر الأرواح، كما يشرق في سرائر ذرّات الكائنات، على اختلاف أنواعها، وأجناسها، ومكوّناتها، وأماكن تواجدها...فالحُبّ أينما وُجد يهب إرادة البقاء والاستمرار والتجدد.

الحُبُّ بَيْنَ النَّاس

لقد استحوذت حياة الإنسان والتّراث البشريّ الإنسانيّ على القسط الأكبر من ذِكر وسرد قصص هذه العلاقة، والحديث عنها، ووصفها والتّغنّي بها. تلك علاقة الحبّ، ولهفة القلب، واندماج الرّوح بالرّوح، حتّى ما أن يُذكر الحُبّعادةً، حتى يُنسب إلى الإنسان قبل كلّ شيء، وبشكل خاصّإلى علاقة الرّجل والمرأة ببعضهما البعض.

وبما أنّ لغتنا، وأدبنا، وتراثنامن أغنىما يكون من بين اللّغات، والآداب، والتّراث الإنسانيّ، بهمسات الحبّ، ووشوشات الغرام بين المحبّين، وكذلك بالجهر والتغنّي بالحبّ تارةً، وبذكر المحبوب تارةً أخرى، وبروعة اللّقاء والحضور تارة، وبلوعة البعاد والفراق تارة أخرى، فليس بالغريب أن يُذكر الحُبّ والغرام متلازميْن في لغة العرب، وأن يكون لهما الحظّ الأوفر من لطائف نسائمها، ومن جمال شمائلها، لتؤدّي دورها في التّعبير عن شدّة التعلّق بالآخر، أو بالشّيء الذي نحبّه، فلا يستطيع الإنسان التخلّص منه. وهو أكثر ما يُعبَّر فيه عمّا يتعلّق بموضوع الحُبّ والغرام بين الرّجل والمرأة، وهو ما كثر ذكره، والحديث عنه، والتّغنّي به، في حقول الشّعر والأدب العربيّ.

طيْفٌ مِمّا قيلَ في الحُبّ

هاهوأستاذ هذا العلم، الإمام أبو محمّد بن عليّ بن حزم الأندلسيّ، يقول في ماهيّة الحبّفي كتابه المشهور"طوْقُ الحَمامة":

" الحبّ–أعزّك الله-أوّله هَزْلٌ وآخره جِدّ. دقّت معانيه لجلالتها عن أن توصَف، فلا تُدرَك حقيقتها إلّا بالمعاناة. وليس بمُنْكَرٍ في الدّيانة ولا بمحظورٍ في الشّريعة، إذ القلوب بيد الله عزّ وجلّ".

وروي عن ابن عبّاس (رضي الله عنهما) أنه عرّف الهوى (الحبّ) فقال:

-"الهوى إلهٌ معبود".

فقيل له: أتقول ذلك؟

قال: نعم، أليس الله تعالى يقول:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[1]

وذكر أعرابيّالهوى (الحُبّ) فقال:

- " هوَ أعْظَمُ مَسْلَكًا في القَلْبِ مِنَ الرّوحِ في الجِسْمِ، وأمْلَكُ بالنّفْسِ منَ النّفَسِ، يَظْهَرُ وَيُبْطِنُ، يكشف ويَلْطُفُ فهوَ بيْنَ السِّحْرِ (الرئة) والجُفونِ لطيفُ المسْلَكِ والكُمون".

(1) الفرقان (43)

وأنشد:

يقولـونَ لـوْ دبّـرتَ بالعقـلِ حُبَّهـا ولا خيْـرَ فـي حـبٍّ يُـدَبَّرُ بالعقْـلِ

وهو في هذا البيت يشير إلـى أنّ الحبّ الحقيقـيّ، هو ليس وليد العقل والتعقّل، بل يكوننـوراً أحيانًـا، ونـاراً أحيانًـا أُخرى، وهوولـيد شـذرة عاطفيّـة تؤجِّج نار الحبّ في القلب فلا تستأذن عقلًا ولا عاقلًا.

وحكى بعض الثُّقات قال:

– مـررت مـع رفيـق لـي بفـلاةٍ، وإذا نحـن بأعرابيّـة كأنهـا فلقـة قمـر، فقالت:

هلمّ إلى القِرى، فلمّا دخلنا خباءها وجدنا قبراً فقلنا لها:

- ما هذا؟

فتنفّست الصُّعداء ثم قالت: قبر خليلي. كان يُظهرُ وُدّي ويُحْسِنُ رِفدي، فمات فدفنتُهُ عندي.

قال: فقلت لها:

فهل لكِ فيمن يجدّد ما قد درس من ودّه ويزيدكِ إحسانًا إلى رفده.

فتغير وجهها وأسبلت دمعتها وقامت مولّيةً وهي تقول بصوت حزين:

وإنّــي لأســتحييهِ والتُّــرْبُ بيننــا كمــا كنــتُ أســتحييهِ حـين يرانــي

فـإنْ تَسْـألاني فــي هَـوايَ فـإنَّني رَهيـــــنةُ هـذا القبـرِ يـا رجُـلانِ

قال: ولم تعُد حتّى خرجنا.

الحبُّ في حدائق الشِّعر

وأمّـا فـي حـدائق الشّـعر، وفـي فيْئـة ظلالـه الوارفـة، فيـا لكثـرة مـا سـاح الحبّ هائماًعلى وجهه في فسيح بساتينه، وجنّاته وفلاته، فارتقى القمم أو تـاه في الشّعاب، أو امّحى رسمه بين عواصف الصّحاري واليباب.ولشدّ مـا تفنّن الشّعراء في وصْفه، ووصْف درجاته، ووصْف محاسن المحبوب الّذي أحبّوه وأغرمـوا بـه، والتغنّـي بجمالـه ورقتـه ودلالـه، وعـرْض صـفاته، وسـلوكه، ولطف تعاملاته، التي فرضت على المحِبّ قيود الحبّ والغرام، هذه القيود

الّتي تبعث في نفسه السّعادة، والبهجة، والهيام، وتطوف به في عوالم الحريّة العاطفيّة التي لا تقيّدها القيود، ولا تحدّ مداها الموانع ولا الحدود.

وكذلك وصْف حال المحِبّ المغرَم من النّحول والذّبول، سيّما إن صدّ عنه، أو هجَره المحبوب، أو إن رحل عنه، وأبعد المسرى، أو إن رحل عنه عنوةً وقسرًا. وكم يسهل هَوانُ الحياة في عين هذا المحبّ، إن أفقدتْه مباغتة الموت محبوبه.أوكيف يسهل السّير على طريق الموت من أجل المحبوب، ومن أجل الوصول إليه. وهو بالنّسبة لهذا المحِبّ المغْرَم، موتٌ يؤمن انّه يرقى به إلى درجة الشّهادة في سبيل المحبوب، هذا المحبوب الّذي غمره حبًّا وغرامًا وتعلّقًا. فهو في عذاب دائم وملازم، لا يُخفّف، ولا يُرفع عنه. ولكنّه في الوقت ذاته، يغرقه في بحور من السّعادة، والمتعة والهناء، بحيث يهون الموت في قربه أو في سبيله.

ومن جميل الشّعر -والشّعر من الشّعور، وجماله من جماله -ما يبطن بين حروفه همسات، ولمسات الحبّ والهوى، بين اثنين لا يحسبان للزّمانأو المكان حسابًا، إلّا ذاك الذي يجمعهما في خيمته، أو في ظلّ دوحته، ورحم الله أحمد شوقي -أمير الشّعراء- حين اختصر الزّمان بساعة يقضيها مع المحبوب، واختصرالمكان بموضع يجمعه بذلك المحبوب، ففاض الحبّ شلّالًا من الجمال، والعاطفة الصادقة التي لا تبغي من الأرض الّا موطئ القدمين، ومن الوقت الّا ساعةًتجمعهما معًا .وذلكفي هذا البيت من الشِّعر، الذي قاله على لسان "قيس بن الملوّح" في مسرحيّة "مجنون ليلى" والذي قيل فيه إنّه من أجمل الشّعر:

قد يهونُ العمرُ الّا ساعةً وتهونُ الأرضُ الّا مَوْضِعا

والأبيات التّالية -وهي غيض من فيض-تكشف لنا الجمال الّذي يتجلّى في ذِكر الحبّ والمحبوب في هذا الباب، وهيمنتقاة من أجمل مئة بيت من الشّعر قيلت في الحبّ :

- وما كنتُ مِمّنْ يدخلُ العشقُ قلبَهُ ولكنّ مَن يبصرْجفونَك يعشقُ المتنبي
- فيا ليت هذا الحبَّ يَعشق مرةً فيَعلمُ ما يَلقى المحبُّ مِنَالهَجْرِ قيس بن الملوّح مجنون ليلى

●إذا شئت أن تلقى المحاسن كُلَّهــا ففي وجهِ مَن تهوى جميعُ المحاسن
ابو العلاء المعرّي
●تتبّعَ الهوى روحي في مسالِكِهِ حتّى جَرى الحبُّ مَجْرى الرّوح في الجَسَدِ
أبو الفضل بن الأحنف
●قالوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوى فَقُلْتَ لها العِشْقُ أعْظَمُ مِمّا بِالمَجانين
ابن الفارض
●وَما عَجَبي مَوْتُ المُحِبّينَ في الهَوى وَلكنْ بَقاءُ العاشِقينَعَجيبُ
عروة بن حزام
●أُحِبُّكَ حُبّاً لَوْ يَفيضُ يَسيرُهُ على الْخَلْقِ ماتَ الْخَلْقُ مِنْشِدَّةِالْحُبِّ
ابن أميّة
●وَالْحُبُّ حَرْفانِ حاءٌ بَعْدَها باءُتَذوبُ عِنْدَ مَعانيها الْأَحِبّاءُ
●وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَموتُ مَنْ لا يَعْشَقُ
أبو الطّيّب المتنبي
●إنْ شِئْتَ تَقْتُلُني فَأَنْتَ مُحَكَّمٌمَنْ ذا يُعاقِبُ سَيِّدًا في عَبْدِهِ
محمد بن عيسى أبو بكر الأندلسي(ابن لبانة)
●فَإنْ أَهْلِكْ هَوىً أَهْلِكْ شَهيداً وَإنْ تَمْنُنْ بَقيتُ قَريرَ عَيْنِ
ابن قزمان
●يا حَبيباً إذا حَنَنْتُ إلَيْهِ حَنّ في رِقّتي عَلَيْهِ حَنيني
مصطفى صادق الرّافعي

المصدر-الشّبكة العنكبوتيّة (الانترنت)

وهذه أقوال وأشعار أخرى مقتبسة، غنيّة بصور شعريّة دقيقة ومميّزة، تقطر جمالًا ورقةً وعذوبة.

●قال عرقلة الكلبيّ:
قَلْبُ الْمُحِبِّ عَلى الأَحْبابِم ثعوبُ وَعَقْلُهُ مَعَ بَديعِ الْحُسْنِ مَنْهوبُ
وَقائِلٌ قالَ لِي ما الْحُبُّ قُلْتُ لَهُ اَلحُبُّ عَذْبٌ وَلكِنْ فيهِ تَعْذيبُ
●قال الشيخ عبد الله الشبراوي:
قَضى اللهُ أَنَّ الْحُبَّ أَعْلى فَضيلَةٍ وَأَنَّ الْهَوى أَحْلى نَعيمٍ وَأَعْذَبُ

●قال معين الدّين الخطيب:

أشْـكو إلــى اللهِ نــارَيْنِ واحِـدَةٌفي وَجْنَتَيْـهِ وَأُخْـرى مِنْـهُ فـي كَبِـدي

وَمِنْسُــقامَيْنِ سُــقْمٌقَدْ أحَــلَّ دَمــي مِنَ الْجُفونِ وَسُقْمٌ حَلَّ في جَسَدي

وَمِـنْ نَمـومَيْنِ دَمْعـي حـينَ أذْكُـرُهُ يُــذيعُ سِــرّي وَواشٍــمِنْهُ لِلرَّصَــدِ

وَمِنْ ضَعيفَيْنِ صَبْري حينَ يَهْجُرُ نيـوَوُدُّهُ وَيَـراهُ النّـاسُ طَـوْعَ يَـدي

●كـان الرّشـيد يحـبّ ثـلاث جـوارٍجمعهنّ اليـه فـي وقتٍ واحـد. وفـيهنّ يقول، أو أنّ العبّاس بن الأحنف قال على لسانه:

مَلَــكَ الــثّلاثُ الآنســاتُعَناني وَحَلَلْــنَ مِــنْ قلبــي بِكُــلِّ مكــانِ

مــالي تطــاوعُني البريّــةُ كلُّهــا وأُطــيعهنَّ وهُــنّ فــي عصــياني

مــا ذاك إلّــا أنّ ســلطانَ الهــوى وبــهِ قــوينَ أعــزُّ مــن سُــلطاني

●قال المهلّب:

أشــتهي الآنَ أنْ أصــلّي علــى نعشِ محبٍّ قد مات في الحبِّ وَحْدا

●قال العباس بن الأحنف:

أســتغفرُاللهَ إلا مــن مــودَّتِكُمْ فإنَّهــا حســناتي يــومَ ألقــاهُ

فـإن زعمـتَ بـأنَّ الحـبَّ معصـيةٌ فالحـبُّ أحسـنُ مـا يُعصـى بـهِ اللهُ

●ومما قال مجنون ليلى عندما أخذه أبوه إلى مكّة لزيارة الكعبة، وليدعوَ الله أن يشفيه من حبِّ ليلى المستبدّ به :

ذَكَرْتُــكِ وَالحَجــيجُ لَهُــم ضَــجيجٌ بِمَكّــةَ وَالْقُلــوبُ لَهــا وَجيــبُ

فَقُلْــتُ وَنَحْنُفــي بَلَــدٍ حَــرامٍ بِــهِ لِلــهِ أَخْلَصَــتِ الْقُلــوبُ

أتــوبُ إلَيْــكَ يــا رَحْمــنُ مِمّــا جَنَيْــتُ وَقَــدْ تَكــاثَرَتِ الــذُّنوبُ

وَكَيْـفَ وَعِنْـدَها عَقْلـي وَروحـي أتـــوبُ إلَيْـــكَ مِنْهـــا أوْ أنيـــبُ

●وقال يزيد بن معاوية :

بَكَيْتُ عَلى مَنْ زَيَّنَ الحُسْنُ وَجْهَها وَلَـيْسَ لَهـا مِثْـلٌ بِعُـرْبٍ وَأعْجُـمِ

لَهـا عِلْـمُ لُقْمـانٍ وَصـورَةُ يوسُـفٍ وَنَغْمَـــةُ داودٍ وَعِفّـــةُ مَـــرْيَمِ

وَلي حُزْنُ يَعْقوبٍ وَحَسْرَةُ يونُسٍ وَبَلْـــوَةُ أيّـــوبٍ وَقِصّـــةُ آدَمِ

فَـلا تَقْتُلوهـا إنْ قُتِلْـتُ بِهـا جَـوىً بَـلْ فَاسْـألوها كَيْـفَ حَـلَّ لَهـا دَمِـي

●قال الفتح بن خاقان صاحب المتوكّل:

أيُّهـــا الْعاشِـــقُ الْمُعَـــذَّبُ صَـــبْراً فَخَطايـــا أهْـــلِ الْهَـــوى مَغْفـــورَةَ

زَفْـــرَةٌ فـــي الْهَـــوى أحَـــطُّ لِـــذَنْبٍ مِـــنْ غَـــزاةٍ وَحَجَّـــةٍ مَبْـــرورَةَ

●قال العبّاس بن الأحنف:

"وهي أبيات تمثّل رأي الشّعراء قاطبةً، بل رأي المحبّين جميعًا، كيف ينعمون بالحبّ، وتطيب لهم به الحياة، حتّى يرونها الجنّة بعينها"[1].

أمَـــــا وَاللهِ رَبِّ الْبَيْـــــتِ وَالأسْـــــتارِ وَالْحُجُـــــبِ

لَقَـــدْ طابَـــتْ بِـــكِ الـــدُّنْيا وَلَـــوْلا أنْـــتِ لَمْتَطِـــبِ

أقوالٌ في الحُبِّ

من أقوال جبران خليل جبران في الحبّ:

" الحبُّ لا يُعطي إلا ذاته، ولا يأخذ إلا من ذاته، وهو لا يَملِك ولا يُملَكُ، فحسْبُه أنّهُ الحُبّ ".

وممّا قيلفي تعريف الحبّ أيضًا:

- الحبُّ سرٌ لا يعرفه الّا المجنون.

---

(1) (من كتاب خيوط الذّهب من أدب العرب-أحمد عبد العزيز إدريس - 1989).

- الحبُّ أعمى _ أفلاطون
- ما الحبُّ إلا جنون _ شكسبير
- الحبُّ أن تُقبِل على حبيبك عند إقباله عليك وعند إدباره عنك.
- لو أحبَّ الشّيطان لتلاشى الشرّ نفسه.
- الحبُّ الّذي ينتهي ليس حبّاً حقيقيّاً.
- الحبُّ سرٌّ لا يعرفه المحبّون.
- الحبُّ ليس له تعريفٌ الّا الحبّ.
- الحُبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الألسُنا

(أقوال منتقاة من الشّبكة العنكبوتيّة)

من أقوال مولانا جلال الدّين الرّومي:

- ما تبحثُ عنه يبحثُ عنك.
- الوداعُ لا يقعُ إلّا لمن يعشقُ بعيْنيه، أمّا ذاك الذي يحبُّ بروحِهِ وقلبِهِ فلا ثَمّة انفصالٌ أبدًا.
- هناك سُبُلٌ كثيرةٌ لتصِلَ إلى الله وأنا اخترتُ الحُبَّ لأصِلَ إليه.
- إذا رغبْتَفي كسْبِ القلوبِ ازرعْ بذورَ الحُبِّ.
- الحُبُّ الذي لايهتمُّ إلّا بالجَمالِ الجَسَديِّ ليسَ بالحُبِّ.
- إنَّ الحُبَّ لا يُمكنُ تفسيرُهُفهوَ يُفَسِّرُ كلَّ شيْءٍ.
- وكُلُّ شيْءٍ إلى الزَّوالِ ويبقى الحُبُّ.
- ما لمسَ الحُبُّ شيئًا إلّا وَجَعَلَهُ مُقَدَّسًا.
- هذا العالمُ غارقٌ في الآلامِ والمآسي مِن رأسِهِ الى قدميْهِ ولا أملَ له في الشِّفاءِ إلّا بِيَدِ الحُبِّ.

من أقوال شمس التّبريزي في الحُبِّ.

- أينما حلَّتْ روحُ العاشقِبوركتِ الأرضُ ومَن عليها.
- وجدتُكَ في قلبي... ومِن ذلكَ الوقت وأنا أطوفُ حوْلي.
- إنّنا نعتقدُ أنَّ اللهَ يرانا مِن فوق، لكنَّه في الحقيقةِ يرانا مِنَ الدّاخل.
- يجوزُ الرِّبا في الحبّ، فمَنْ أعطاكَ حُبًّا رُدَّهُ ضِعْفَيْن.

- إنَّ الوسيلة التي تمكّنُكَ مِنَ الاقترابِ مِنَ الحقيقة أكثر تكمُنُ في أن يتّسعَ قلبُكَ لاستيعابِ البشريَّةِ كُلِّها وأنْ يظلَّ فيهِ مُتَّسعٌ لمزيدٍ مِنَ الحُبِّ.

نلاحظ ممّا سبق ذكره، أنّ الهوى قد يصل بمن يحبّويهوى بأن يجعله مُسَيَّرًا لسلطانه، فيهب نفسه عبدًا محكومًا وذليلاً لمن يحبّ.بل هو يسترخص نفسه، ويجود بروحه، حتّى ولو قُتل في سبيل محبوبه، فليْسَ لأحد حقّ في أن يُحاسِب هذا السيّد على قتيله-ذلك العبدالمملوك له بأمر الحبّ. وحينًا آخر يعتبر نفسه قد فاز بالشّهادة، إذا ما مات وَجْدًا على فراقالمحبوب. وحينًاآخر يعتبر التّمرّغ في أحضانهكالغزوة في سبيل الله، أو كالحجّة المبرورة إلى البيت الحرام، في غسل الخطايا والذّنوب، وتزكية نفوس المحبّين، ليكونوا من أهل الجنّة، والفائزين بها.وإنّ عصيان الله في مدار الحبّ هو أحسن ما يُعصى به الله – على حد زعمهم –(اللّهم إنّا بريئونممّا يقولون وأستغفر الله مما يدّعون).

فما السّرّفي هذا الشّعور الغريب، الذي يتسابق الشّعراء في اقتداح أذهانهم، واستدعاء أجزل وأجمل وأبلغ الكلام لوصفه، وتقريب مايعنيه لهم إلى أذهان النّاس ...! وما هي هذه العبوديّةالمسْتَحَبَّة، التي يسعى اليها المحبّ بقدميه، ويجهر بهالمعبودٍ يأكل الطّعام ويمشي في الاسواق...؟ومالسّرّ في طلب هذا الذُلِّ المغموس بالغبطة والمتعة، وما السِّرُّفي التّرحاب بالاستشهاد في سبيلٍ غير سبيل الله...؟

وممّا يبعث على الدّهشة، والاستغراب والاستنكار، والرّفض القاطع، هو هذا الوصف الجنونيّ للعواطف، وللعلاقة بين المحبّين، والّذي تجاوز حدود العلاقة الإنسانيّة الجميلة، وجعلها تتوازى بل وتتساوى مع حبّ الله، وبالغ فيها، حتّى هام على وجههفي الطّريق الذي ينزلقإلى مهاوي الكفر، والشّرك، والضّلال، بهؤلاء المحبّين المبالغين...؟ فالحبّ للمحبوب له مسار ومدار لا يجوز أن نساويه ونوازيه بحبّ الله الواحد الأحد، الذي أوجد المُحِبّ وأودع فيه هذه العاطفة .

كيف تعامل القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة مع موضوع الحبّ...؟

● هل ذُكر الحبّ في القرآن الكريم

فضلاً عن مراتع الشّعر والأدب، فقد ورد ذكر الحبّفي القرآن الكريم، وذلك في مواضع عديدة، وفي الأحاديث النّبويّة الشّريفةأيضًا، وفي مواضيع ومناسبات مختلفة، وعلى درجات متفاوتة، تستوجب منّا وقفة متدبّرة، بدايةً أمام عرض القرآن الكريم لهذا الموضوع الهامّ، وسننير مصباح عرضنا لهذا الموضوع من نور الذّكر الحكيم -إن شاء الله -وسنتعرّفعلى كيفيّة تناوله في الآيات الكريمة. فما هو هذا الحبّ الذي يتحدّث عنه الله (جلّ في علاه) في القرآن الكريم...؟

ولكي نستكمل الإحاطة بالمبنىوالمعنى الذي يمكن أن نستحضره من هذيْن الحرفيْن، المقدّسيْن، الحيويّيْن، اللّذيْن يكمن فيهما سرّ الجمال، والغبطة، والسّعادة، والحياة والبقاء، فلنبحث عنه أوّلاً لُغويًّا، فما هو الحبّ بتعريفه اللُّغويّ:

حَبَّ: ودَّ

الحُبّ: الوَداد

المحبّة: الميل الى الشّيء السّارّ.

أحَبَّ: مال إلى الشّيء السّار. (المعجم الوسيط)

أو:

الحبّ:نقيض البغض

الحبّ: الوداد والمحبّة. (لسان العرب)

ولنتابع كيفيّة عرض القرآن الكريم لهذا الموضوعالهامّ، والأساسيّ، والحسّاس في حياة وعلاقات النّاس:

قال الله(جلّ جلاله) في الآية الكريمة:"فَسَوْفَ يأتي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبّونَهُ "صدق الله العظيم.(54 -المائدة)

لقد أخبر الله (جلّ جلاله) بأنّه يتبادل الحبّ مع خلقه فيحبّهم ويحبّونه، لكنّه ومن حكمته، أن قدّم حبّه لخلقه، على حبّ خلقه له، في الآية المذكورة. وهو أمر منطقيّ لا يحتمل الجدل، ولا التّحليل ولا التّساؤل، لأنّهذا الكلام ليس بكلام بشر، وإلا لكان قد قدّم حبّ النّاس له على حبّه لهم، تكبّرًا، وافتتانًا بنفسه. لكنّ الكلام هنا كلام الله(سبحانه وتعالى)إذًا فالحبّلا بدّ أنيكون

منه، ويبدأ من لدنه، ويوجَّه منه إلينا أوّلًا، لأنّه هو الحبّ بعينه، وهو مصدره الأوليّ، وهو من نبع عطائه ينبجس، أي من لدنّالله (سبحانه وتعالى)فكيف لا يبدأ الحبّ من لدنّه، وهو الأوّل...!وهو مَن أودع العواطف في قلوب بني البشر...!

"اللهُ نورُ السّمواتِ وَالْأَرْض" (سورة النّور – آية 35)

الله هو النّور الذي يبثّ الحياة في الأحياء، والتّوازن والانضباط في غيرهم، النّور الذي لا تسبقه السّوابق، ولا تعيقه العوائق، النّور الذي به، ومنه، ولأجله قامت الخلائق، وبأمر من ربّهم المحِبّ والمحبوب والخالق.

وهو الذي بدأ بتكريم بني آدمكلّهم، منذبداية خلقهم، دون تخصيص أو استثناء، فقال(جلّ جلاله)في الآية الكريمة:

"وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ"[1]

ثم قال (جلّ جلاله) في محكم تنزيله:

"فَإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"[2]

فهل هناك إشارةأبلغ من هذه الكلمات؟ لتدلَّ على حبِّ الله لخلقه، منذ أن نفخ في طينة آدم من روحه، فأكرمه وأكرم كلَّ بنيه، وقد رفع منزلته بالإكرام والتَّكريم، حين أمر الملائكة بالسُّجود له، كرامة للرُّوح التيأضاءت النَّفس بنور الحبِّ والكرامة.

ثم قال (جلّ جلاله):

" قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْتَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ"[3]

فمن فرط الحبّ الذي أوْلاهُ، ومنحه الله، لابن آدم دون الخلائق كلّها، أن جبل طينته، وخلقه بيديه، وليس بكلمة "كُنْ"، مثلماخلق سائر المخلوقات الأخرى. وقد تحدّثتْ بهذا الخبر كلُّ الكتب السّماويّة. وهذا الحدثبدَوْره يحمل رمزًا لمنتهى الحبّ والتّكريم والتّشريف. فقد ابتُدئت حياة الإنسان وخلقه من

---

(1) (70 – الإسراء)

(2) (29- الحجر)

(3) (75 – ص)

طين المحبّة والتّكريم، واستمرّت تسري في العروق منذ عهد الأب الأوّل، سيّدنا آدم (عليه السّلام)إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فما هي حاجة الله فينا؟ وهل كانت له حاجة في كلّ هذا الخلق؟

ولكن، لأنّه هو الله، وهو الحبّ، ومنه وإليه الحبّ مردود، فقد خلق المخلوقات جميعًابسرّ هذا الحبّ، ولأنه هو الأوّل، وهو الآخر، وهو الودود، وهو الحبّ الذي لا يطيقه ضعف إدراكنا، وهوالّذيشرع وأتمّ الخلق كلّه بطينة الحبّ، وبيدي الحبّ، وبكلمة الحبّ منه. لأنّه هو الحبّ بذاته وجوهره، فلا يمكن أن يصدر الحبّ إلا عنه أوّلًا. فهل هناك دلالة أبلغ من ذلك على حبّ الله للإنسان ...؟

ومن الآيات أنّ كلّ أعمال الإنسان تنطلق من هذه البؤرة، بؤرة الحبّ. فالإنسان

يحبّ الحياة، ويحبّ الجنس الآخر، ويحبّ المال والأولاد، ويحبّ الوالدين والأقرباء والأصدقاء، ويحبّ الأملاك، والأطيان والغِنى، والطّعام والشَّراب، والرّفاهيّة، والسّلطة والقيادة، والنّجاح والمدح والظّهور، ويحبّ بلده ووطنه... إلى ما لا نهاية من أنواع الحبّالبشريّ الذي يتّجه باتّجاه الخير، أو باتّجاه السّلبيّة والشّر، فقد يحبّ الإنسان أيًّا من الأشياء المذكورة، ولكن من أجل الحصول عليه يستعمل سهام الشرّ، فهو ربّما يحبّ المال، ولكن لا يسير بطريق الاستقامة والحلال، من أجل الحصول عليه. أو ربّما يكون هدفه في الحصول على الأموال ليس هدفًا من أجل الخير والمحبة والعطاء. وقِس على ذلك غيرها من الامور المذكورة آنفًا.

هذا هو الله...!

(وَهَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) صدق الله العظيم. (11- لقمان)

نعم هذا هو الله...!

وهو النّور والجوهر والمحبّة، وبكلمة الحبّ ونفخته المقدّسة المباركة، قد خلق المخلوقات كلّها، وبرأ البرايا جميعها، على اختلاف أنواعها، من أحياء ونباتات وجمادات، وبثّ في كلٍّ منها نفثات من الحبّ... هذا الحبّالذي يتجاذب بأقطابه أطراف الكون كلّه، ليجعله متوافقًا ومتكاملًا ومتكافلًا بكلّ

مخلوقاته، وكيف لاوهو الّذيخلق فسوّى، والذي قدّر فهدى، وهو الذي وهب من حُبّهوهُداه لكلّ خَلقٍ ما يكفيه للقوامة.

آياتُ الْحُبِّ في السّماء:

لو تأمّلنا السّماء لوجدنا فيها من آيات الحبّ وبراهينه ما يكفينا ويزيد، من شمس وقمر ونجوم وكواكب، ونحن نعلم أنّلها ما لها، من تأثير لثبوت الكون وكلّ مكوّناته، وما لها من تأثير على ثبوت حال الأرض، وتعاقب اللّيل والنهار عليها، واختلافالفصول، والحفاظ على استمرار الحياة فيها وعليها.كما أنّهاتمنّ علينا بالسّحائب تفيض بالغيث والأمطار، فتوفّروتغدق علينا أسباب الحياة والوجود، والاستمراريّة على هذه الأرض، هذا، وما لا نعلمه من أسرارها وخيراتها أكثر بكثير من ذلك.

آياتُ الحُبِّ في الأَرْض:

وكذلك الحال بالنّسبة للأرض نفسها، فكلّ ما فيها، وما عليها، له رسالة مكتوبة بمداد الحبّ، لحفظ الحياة، واستمرارهافيها وعليها، سواءٌ في لجّة بحارها وما تحويه من أسرار، ومجاري أنهارها، وسعيها الحثيث إلى البحار، أو في تفجّر ينابيعها، من لين تربتها تارة، ومن صلد صخورها تارة أخرى .أوفي شدّة حرارتها وبردها ، وغدوٍّ رياحها ورواحها، وفي وشاح غلافها، وطيب هوائها، ولون واختلاف تربتها، وتنوّع نباتاتها، وتفاوت اللّين والصّلابة فيصخورها، ورسوخ وارتفاع جبالها، وأسرار مناجمها، وغورآبار مائها ونفطها، وانتشار رمالها، كلّ ذلك مسخّر للإنسان، ومسبّبٌ لنعمة استمرار حياته على هذه الارض، وما لا نعلمه من أسرارها وخيراتها أكثر بكثير من أن نقف عليه أونحصيه.

آياتُ الحبِّفي قلبِ الأرض:

ولا أنسى ما يحويه قلب الأرض من الحبّالكامن الجارف، الذي يشدّنا إليها بخيوط الشّفافية واللّطف والحنان، فتحتضننا بجاذبيّته، كما تحتضن الأمّ وليدها. ولولا حبّ الأرض لكلّ من عليها وما عليها، ولولاجاذبيّتها المرصودة بالحبّ، لرفضتنا هذه الارض، ولهامت أجسادنا في واسع ملكوت الله، ولما تحقّقت لنا ولغيرنا نعمة الحياة على وجهها أبدًا.وكلّنا يعلم فضل

الأرض وما تغدقه علينا من عطائها وخيراتها، وما لا نعلمه من أسرارها وخيراتها وعطائها أكثر بكثير من أن نقف عليه أو نحصيه.

وهكذا، فلكلّ مخلوق لغته وأسلوبه ووجهته ووظيفته، في بثّ موجات حبّه لمن يريد، ولمن يتكامل ويتكافل وإيّاه، سواءٌأكان ذلك بين الأحياءفيما بينهم، على اختلاف أنواعهم، أو بين الجمادات على اختلاف أنواعها، ومواقعها ومنافعها، ووسائل انسجامها فيما بينها.

ألا يجدر بنا إذًا نحن – بني البشر – أن نقابل الحبّ بمثله، وأن نجزي الإحسان بالإحسان، مع كل المذكورات السّابقة ، ومع واهبها الأوّل لنا وهو الله(جلّ جلاله) ؟

كيف نقابل هذا الحبّ بمثله؟

- بالحفاظ على البيئة القريبة وما تحويه من أنواع الحيَوات.
- وبالحفاظ على البيئة البعيدة وما تحويه قدر الإمكان.

وذلك في الاتجاهين معاً: العمل على تحقيق السّلام بين النّاس، وبينهم وبين باقي المخلوقات من حيوان ونبات وجماد وهواء وماء وغيرها.

والعمل قدر الاستطاعة على الحفاظ على السّلام مع البيئة الكونيّة الخارجيّة.

الحُبُّ في القُرْآنِ الكَريم:

- هل لهذه الكلمة من موقع أو قصّة في القرآن الكريم؟

إذا أحببنا أن نعرفشيئاً عن ذلك، فلنتوقّف عند عتبة الزّمان، نستأذنه، ثم نلج ونفتّش في عمق سُرادق التّاريخ عن موقع أو قصّة حدثت حول هذه الكلمة. ولنتأمّل، ولننعم السّمع والبصر...فنجد أنّه قد ورد ذكرها في قصّة ممعنة في القِدَم، ولكنّها خالدة على مرّ الزّمن، لا زال صداها يتردّد بقوّة وتأثير، في مختلف أرجاء الأرض، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن وما عليها.

وهي قصّةٌأخَذَ دوْر بطولتها، وحاكَ أحداثها وحيثيّاتها أبو الأنبياء، وسيّد الحنفاء سيّدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام). فماذا فعل أبو الأنبياء وسيّد الحنفاء؛سيّدنا ابراهيم؟ وكيف تصرّف عندما كان يبحث عن الحقيقة، وعن الخالق الواحد الأحدأمام قومه؟

وذلك بأسلوبه الخاصّ لكي يستدعيهم للإيمان بالله بالإقناع والدّليل المنظور.

وهوالمؤمن بالفِطرة والذي كان قد سبق له الفوز بأن يصل إلى قمّة المعرفة، ألا وهي معرفته لله.وكان قد سَبَرَغور المعرفة، وكُنْهَ الحبّ، بحبّه المخلص المتناهي له، ولذلك دُعي بالخليل دون غيره من الأنبياء والرّسل (عليهم السلام). وعندما أراد أن يهدي قومه إلى نعمة هذا الحبّ، الحبّ الخالصلوجه الله، والإيمان به، وتوحيده دون غيره من الآلهة المزعومة، اختار النّجم ليكون هو ربّهوربّهم، وذلك تمشّيًا مع معتقدات قومه، بتأليه النّجوم والكواكب وعبادتها، ومسايرةً لعقولهم، واستدراجًا لمنطقهم، ودحضًا لمعتقداتهم الفاسدة، وبرهانًاالضعف وفشل إيمانهم، ولكي يثبت لهم بالبرهان المحسوس المشاهَد، بطلان ما يعتقدون، وبأنّ ما يؤمنون به إلهاً لا يستحقُّ أن يكون معبوداً لهم، لأنّه سرعان ما يغيب عنهم ويفارقهم غير مودّع. والمنطق يفرض على الإله ألّا يغفل، أو يغيب عن خلقه ولو لطرفة عين.

وبعد التّجربة التي خاضها سيدنا إبراهيم(عليه السّلام) أمام قومه مع هذا المعبود (وهو النّجم الآفل)، ما الّذي جعلهيبوح بسرّ علاقته بهذا الربّ؟ والذي سبق أن اختاره وآمن به، دون قومه، فأرادلقومه أن يتعرّفوا عليه، وأن يؤمنوا به، وأن يُسْلِموا له، وأن يعبدوه، وأن يُخلصوا له الدّين، حبّاً بهم، وغيرةً عليهم، وذلك في قوله المذكور في الآية الكريمة:

"قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ" صدق الله العظيم(76- الانعام)

يا للجمال والإخلاص...!

فها هو سيّدنا إبراهيم يشترط على نفسه أوّلاً - وهو بهذا الأسلوب يوحي إلى قومهأيضًا - أن يحبَّ هذا الربّ، الّذي يبحث عن حقيقته لكي يؤمن به، ويسلم له، ويعبده، ويتقرّب إليه، هو ومَن يتبعه، لذا لم يقُل: (لا اؤمن به، أو لا أسلم له، أو لا أعتقد به ..الخ)؛ بل قال بكلّ ثقة وجرأة وإخلاص ووضوح:

(لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)

وهذاما ورد في شرح هذه الآية الكريمةفي كتب التفاسير المختلفة الآتي ذكرها:

▪ لا أحبّ أن أتّخذ الآفلين أربابًا، لأنّ الربّ لا يجوز عليه التغيّر والانتقال، لأنّهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك. (شرح الجلالين)

ومعنىً آخر:

• أنا لا أحبُّ إلهًا يغيب. (عائض القرني _2010).

ومعنى آخر:

• نفهم من الآية الكريمة أنّ إبراهيم(عليه السلام)كان في ظُلمة، ثم طلع الكوكب فرآه، ثم غاب الكوكب، أي انتقل من بزوغ وطلوع إلى أفول، وقديمًا كانوا يعبدون الكواكب والنجوم، فجاء لهم إبراهيم من جنس ما يعبدون، وقال:(لا أحبُّ الآفين).(شرح الشّعراوي)

وهكذا فقد وضع أبوالانبياء، وأوّل الحنفاء، سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) شرطًاواضحًاللقبول، والانتساب إلى عالم التّوحيد والإيمان بالله، ألا وهوالحبّ. وهوشرط متبادل في العلاقة بين الخالق والمخلوق. فالخالق حبّه لخلقه هو السّابقوالثّابت والظّاهر، وهو الاوّل والآخر، وهو الشّامل والمطلق. فهو من يخلقهم ويرزقهم، ويوجِد لهم كلّ أسباب العيش الآمن، حتّى وإن كانوا من العصاة، أوالكُفّار، أوالفُجّار، فهو رحمن بهم طالما أنهم أحياء يرزقون. والمنطق يفرض أن يوجّه المخلوق كلّ حبّه لهذا الخالق، المحِبّلكلّ ذرّة، وكلّ خليّة من ذرّات وخلايا خلقه.

والأنبياء كلّهم يوصون أن تكون علاقة المخلوق بخالقه علاقة حبّ، لأنّهم قد أدركوا هذه المرتبة، وتفيّأوا في ظلالها، وقطفوا ما لذّ وطاب من ثمارها. فهم لم يتخلَّوْا عن محبوبهم - وهو الله- (سبحانه وتعالى) حتّى وهم في قمّة المِحَن، وهذا هوَوهكذا يكون الحبُّ المخْلص لله .

فهل كان كلّ ما تعرّض له الأنبياء من معاناة، ومعاداة، وتكذيب وتعذيب، وحتّى الطّرد والجلد، ومحاولة القتل، إلّا استجابة لنداء حبّالله في قلوبهم، الواحد الخالق، وإخلاصهم في تأديةوتبليغ رسالاته، التي إن دعت فلا تدعو إلّا الى الحبّ والسّلام...؟

وبالمقابل فهي رسالة حبّ فائق من الله لكلّ واحد منهم، إذ كان ينجّيهم في كلّ مرّة، من موت محقّق، في محنتهم ومحاولة قتلهم، التي كانوا

يتعرّضون لها ممّن كانوا يدعونهم للإيمان بالله الواحد.هذالو كان أحدهم في تلك المواقف يخضعلقوانين البشر، أو لنواميس الطّبيعة.

"قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ"صدق الله العظيم.(الأنبياء -69)

ألم يُلْقِ المشركون سيّدنا إبراهيم نفسَه في قلب النّار الملتهبة؟

أَلَقَوْهُ في نارٍ أضرموها لكي تحرقه، فيرتاح منه ومن دعوته هؤلاء الكفرة المشركون، والى الأبد، وليطفئوا بذلك نار غلّهم عليه وعلى رسالته، ويبقوا على غيّهم وجهلهم وكفرهم، وكما يبتغون.ففي الوقت نفسه الذي رآى هؤلاء المشركون نارهم التي أوقدوها تتأجّج وتتلظّى لحرق إبراهيم، ولكي تجعله رمادًا، تذروه رياح حقدهم وبغضهم... فاجأتهم نسائم حبّ الله له، ولرسالته في الدّعوة إلى الإيمان والتّوحيد، وقد أطفأت حرارة نارهم التي أوقدوها، وجعلتها بردًا وسلامًا على إبراهيم، فخرج منها سليمًا، ليكمل رحلة العناء في الدّعوة الى حبّ الله واتّباع دينه الحنيف.

"فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" [1]

ولو تتبّعنا مسار الدّعوة إلى الله ودينه، من قِبَل سيّدنا موسى (عليه السّلام) أيضًا، فلا نرى منه إلا حبًّا مُخلصًاصادقًا لله، في الحرص على تبليغ رسالته، ومُخلصًاللنّاس في مثابرته على تبليغهم الرّسالة، لكي يُخرجهم من الظُّلمات إلى النّور، وهو ما دعاه إلى خوض مياه البحر، وركوب أمواجه العاتية، والتعرّض لمخاطره، وقطع المسافات الشّاسعة، فارًّا بدينه، وحبّه لله، من ظُلم فرعون وجنوده، وبطشه وقيوده، ومحاولته البائسة لقتله، وردّه عن اتّباع دين الله، ووقف انتشار الإيمان برسالته السّماويّة. ولكنّ الله أراد لهذا النّبي ولدينه أن يبقى وأن يظهر، فأبطل سحرهم وكيدهم، منذ البداية، وأظهر صدق موسى ورسالته، وذلك بالعصا التي فضحت سحرهم، وكذبهم وتلفيقهم، وسرعة انهيار ثقة فرعون بهم وبقدراتهم. وتارة أخرى أظهرت هذه العصا لفرعون وجنوده، ضعف حيلتهم أمام قدرة ربّ موسى، حين قال (جلّ جلاله):

"فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِاضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"[2]

فرآى فرعون وجنوده بأُمّ أعينهم كيف أبطل الله نواميس الطّبيعة مثل قانون سيولة الماء، وأبطل سبب الغرق في لجّة البحر، فجعلالسّائل المائيّكأنّه جسم صلب ينفلق، ويقفُكلُّ فِرْقٍمنتصبًاكالطّود العظيم، ليمرّ موسى(عليه السلام)وقومه من هذا الطّريق العجب، أمام أعينفرعون وجنوده، وهم يغرقون في بحر غيظهم المتلاطم الأمواج. وقضى الله لذلك الظّالم وجنوده أن ينتهوا هُم بأنفسهم من الحياة غرقًا، وبالوسيلة نفسها، والسّبب الذي أرادوا أن يقضوا به على موسى (عليه السلام)وقومه، وذلك عندما استمروا بملاحقته بعدما رأوْا ما رأوْا من معجزة انفلاق البحر، وتيسير مرور موسى وقومه، إذ لم يعتبروا مما رأوْا، لتبقى سيرتهم على مدى الأيام آيةً، وعبرةً لمن اعتبر.

---

(1) (طه - 20)
(2) (الشُّعراء _ 63)

لم تترك هذهالسّيرة مجالًا للشّكّ بأنّ الحبّ المتبادل بين موسى (عليه السّلام) وبين ربّه هو الذي أخذ بيده ليقهر أعتى جبابرة الأرض، وينجو برسالته وقومه من بطشه الذي كان محققاً، وليتمكّن من تبليغ هذه الرّسالة، وليخلّص قومه من الكفر والابتعاد عن منهج الله.

"وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا" (1)

السّيد المسيح عيسى بن مريم، نفخةٌ من روح الله.(عليهما السّلام)

أفاض الله على سيّدنا عيسى (عليه السّلام) بالنّعمة الكبرى مرّتين، مرّةً عند خلقه، وفي طفولته المبكّرة جدًّا، ومرّةً عند محاولة قتله وصلبه في مرحلة النّبوّة والشّباب. فكانت المعجزة الأولى هي معجزة خلقه، ومما يميّزها هو أنه خُلق من أمّ دون أب، وبنفخة من الرّوح القُدُس، نفخة كانت مثقلة بالحبّ، لفتاة قد أخلصت في حبّها لربّها، وعبادتها له، وملء عينيها من نوره، وتقديم الخدمات للمعبد وللزوّار المتعبّدين، حبّاً وإطاعةً له.

وكذلكبتكليمه النّاس وهو في المهد صبيًّا، وهي لفتة أخرى مكمّلة من لفتات الحبّ الّتي غمره الله بها وأمّه في هذه المرحلة، حتى يحوّل عنهما عيون الاتّهام والتّخوين.

"وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ"(2)

وهو كذلك في الدّعوة لم يكن أوفرحظًا من سابقيه، واضطرّ أن يفرّ بدينه ورسالته، يجوب السّهول والجبال، ويتعرّض للإيذاء ولمحاولة القتل، بأقسى الأساليب، إلّا أنّه لم ينْثَنِ، ولم يخَفْ، ولم تفتر عزيمته، بل حمل حبّه الخالص، لمن جعله وأمّه آية ومعجزة للبشر، وعبر به دروب الآلام كلّها، بصبر وثبات، ورحل يجوب البلاد طولًا وعرضًا، ليبثّ هذا الحبّ لجميع بني البشر، لا يَأبَه بمن يترصّدونه، ويبيّتون له كلَّ أحابيل الغدر، والغشّ والخداع، لأنّه يثق بربّه الذي يبادله حبّه بحبّ أكبر.كان ينادي بالمحبّة والسّلام، وهم يتوعّدونه بالقتل والصّلب، والموت الزّؤام.ولكنّ الله ردّكيدهم إلى نحورهم، عندما عزموا على صلبه، فرفعه الله إليه بيد امتدّت إليه

---

(1) (الأنبياء _ 91)

(2) (النّساء – 157)

بالحبّ، والعطف والحنان، وظلّله بمظلّة السّلام، وأبقى عيونهم فراغًا، لا ترى، ولا تعلم، كيف نجّاه الله من حقدهم وغلّهم بعد أن كان بين أيديهم يهمّون بصلبه، وشُبِّهَ لهم أنّهم تمكّنوا منه وقتلوه وصلبوه، وهكذا جعلخلاصه منهم آيةً إلى يوم الدّين، وجعل رسالته تعبق بشذا المحبّة والتّآخي والسّلام آية أخر.

ى الى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ "[1]

"وَاللهِ لَوْ وضعوا الشّمسَ في يميني والقمرَ في يساري
على أنْ أتركَ هذا الأمرَ حتّى يُظْهِرَهُ اللهُ أو أهلكَ فيهِ ما تركتُه".
خاتَم الأنبياء والمرسَلين سيّدنا محمّد(صلّى الله عليه وسلم)

لعلّ الأحداث التي مرّ بها خاتَم الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) أقربها زمنًا إلينا، فلا زالت أصداء دعوته لقبيلته قريش للتّوحيد، والابتعاد عن الشّرك، وعبادة الأصنام، وارتداد صدى شتائمهم، وتوعّده موعيدهم، تردّدها جبال مكّة وشعابها وأرجاؤها. إذ لم تدّخر قريش وسيلة من وسائل التّعرُّض له، وتعذيبهوإيذائه، ومحاولة إهانته، إلّا واستعملتها ضدّه.وذلك بعد أن دعاها إلى توحيد الله، وعبادته وحده، دون الأصنام وسائر الأوثان، رغم أنه كان محبوبًا ومحترمًا بينهم، لِما عرفوه ولمسوه من حُسن ودماثة أخلاقه الكريمة، وطيب تعامله، قبل النُّبوءة والدّعوة والتّكليف، إذ كانوا يلقّبونه بالصّادق الأمين. وقصّة خلاف القبائل فيما بينها، حول مَن سينال شرف وضع الحجر الأسود مكانه عند إعادة بناء الكعبة، بعد أن هدمها سيل الماء، فيكون ذلك فخرًا لها وتشريفًا على سائر القبائل.

وأنّهم وبعد خلافات، ثمّ مشاورات، اتّفقوا وتوصّلواإلى حلّ يُرضي الجميع، ألا وهو أن يضعوا الحجر الأسود في رداء، يحمله كلّ ممثّلي القبائل معًا، ويضعوه في مكانه، وقد كان تحقيق هذا الأمر من الصُّعوبة بمكان. إلّا أنّهم توصّلوا إلى اقتراح بتكليف أوّل شخصٍ يمرُّ بهم بتنفيذ تلك المهمّة - وهي رفع الحجر ووضعه في مكانه -فكان بتدبير من الله أنّ أوّل من ظهر

(1) (سورة العلق).

ومرّ بهم كان (محمّد بن عبد الله)(صلّى الله عليه وسلّم) وذلك قبل النُّبوَّة والرّسالة، فتهلّلت وجوههم، وفرحوا به لأنّه الصّادق الأمين، واتّفقوا عليه، فرفع الحجر ووضعه مكانه. إلّا أنّ ذلك لم يمنعهم من استخدام كلِّ وسائل التّعرُّض له والإيذاء، عندما جاءهم بالرّسالة والدّعوة إلى توحيد الله وعبادته. ولم يتوانَوْا عن طلبهم من عمّه "أبو طالب" أن يؤثّر على النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) فيجعله يتراجع عن دعوته للتّوحيد، وعن التّعرض لدينهم وأصنامهم.

وحرصًا على سلامته، واستجابةً لنداء وجهاء قريش، طلب منه عمّه "أبو طالب" ترك هذا الأمر، فأجابه إجابته الواثقة، الفاصلة، القاطعة، بأنّه لن يتراجع حتّى لو منحوه أعلى المناصب، أو أغدقوا عليه بكلّ ثرواتهم، أو حتّى لو كلّفه ذلك حياته، قائلاً:

"واللهِ لَوْ وضعوا الشَّمسَ في يميني والقمرَ في يَساري على أنْ أتركَ هذا الأمرَ حتّى يُظهرَهُ اللهُ أوْ أهلكَ فيهِ ما تركْتُه".

واستمرّ في دعوته إلى الله الواحد الأحد، وإلى دين الإسلام والتّوحيد، لم يتوقّف، حتّى وصل الحقد بقريشأن تظافرت جهودهم، وجهود مختلف القبائل الأخرى للنّيل من الرّسول الكريم(صلّى الله عليه وسلّم)، وقتله ووأد رسالته السّماوية. ولم يتوانَوْا عنمطاردته حينما فرّ بدينه، يقطع المسافات الشّاسعة، في أرض قاحلة، لا ماء فيها ولا مطر، ولا ظلّ فيها ولا شجر، ولم يبقَ سبب الا توفّر فيها، من أسباب الخطر. ولا يمكن أن يكون رفيقه في رحلة الهجرة هذه؛ والخطر والمصائب، والمصاعب إلا الحبّ أوّلاً، الحبّ الخالص لوجه الله-قبل أيّ رفيق آخر- لكي يمدّه بالطاقة والتحمّل لينشر دينه الحنيف، ورسالة حبّه للنّاس كافّة، ولكي يقودهم ويخلّصهم من مستنقع الوثنيّة والشّرك، إلى واحة النّجاة والخلاص، في دينهم ودنياهم وأُخراهم.

"لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"[1]

هذا كان شعار النّبي (صلى الله عليه وسلّم) للأمان والسّلام من الأعداء، ومن كلّ مصدر خطر أو أذىً محتمل، وذلك عندما كان يختبئبدينه، ورسالته في الغار، لكي ينجو من كيد الكائدين، وظُلم الكافرين، هو وصاحبه

(1) التوبة: 40.

أبو بكر الصّدّيق (رضي الله عنه) مهاجرَيْن فارّيْن بدينهما وعقيدتهما إلى الله، قاصديْن المدينة المنوَّرة، حيث سبقهما نور الهداية والإيمان، إلى قلوب من دعاهم النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلى التوحيد في مواسم الحجّ الأخيرة. فنزلت فيهما الآية الكريمة:

"إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"

حدث إعجازيّ لمن يتدبّره...ففي حين أنْ كان المشركونلا يبتعدون عنه، وعن إمكانيّة القضاء عليه ومحو رسالته، الّابمقدار نظرة إلى موطئ أقدامهمفقط. وقد كان الموت المحقّق لهولصاحبه على بُعد هذه النّظرة، إلّا أنّ الله كان قد أغشى أبصارهم وبصائرهم، فلم يدخلوا الغار في الوقت الذي هم كانوا يقفون ببابه، أو على سطحه. وكان الأمر لا يتطلّب منهم مجهودًا أكثر من لمحة عين إلى داخل الغار، فيرونه ويُقضى الأمر... فكيفنفسّر ونفهم ذلك سوى أنّ الله كان مع النبيّ(صلّى الله عليه وسلم) ومع صاحبه، وانّه يحبّه، وينتصر له وللدّين الذي حمله في صدره، وفرّ به يقطع الفيافي والجبال الصّماء، يعاني شدّة التّعب والعطش والجوع. فأكرمهربّه الذي بعثه بالحقّبحمايتة، ورعايتة هو ومن تبعه وتبع دينه الحنيف، وعلى طول المسيرة الدّعويّة بقييتكفّله بحمايته، ورعايته وحفظه، ويسلّمهمن كافّة المخاطر، من أجل إتمام تبليغ رسالته، وتخليص البشريّة من براثن الوثنيّة، مخاطبًا إيّاه بالآية الكريمة:

"وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ"[1]

فوالله لا يمكن لأحد أن يدرس حياة الأنبياء (عليهم السّلام)، ويطّلع على ما تعرّضوا له في سبيل نشر رسالاتهم، ودعوتهم إلى الله، من أشدّ أساليب المعاناة والمعاداة والتّعذيب، إلّا ورأى واستشعر قيمة **الحبّ**حبّ الله لهم، ووجوده معهم وحفْظه إيّاهم بعين رعايته. وبالمقابلرأى حبّهم الغامر لله، وحرصهم وإخلاصهم لنشر دينه الذي ارتضى، حتّى يهتديَ النّاس إلى هذا الحبّ، وهذا الدّين مهما كلّفهم الأمر.

---

(1)(النّحل - 127

وقد أرادوا لهذا الحبّ الذي يغمر قلوبهم أن يفيض، ليغمر قلوب النّاس جميعًا، فيؤمنوا بالله وكتبه ورسله، وينتسبوا إلى الله، فيصبحوا من عباده وأحبّائه، ويصبححبّ الله إكسير حياتهم، وعلاقاتهم فيما بينهم، حبًّاغير متناهٍ، ولا يحدّه حيّز.

ومع صعوبة ما تعرّض له جميع الأنبياء والرّسل من الرّفض والإيذاء، فإنّ المحبوب لم يتخلّعنهم - وهو الله سبحانه وتعالى- في كلّ المراحل، وفي كل زمان ومكان، فكانوا دائمًا في ظلّه، يسمعهم ويراهم، مهما كانت الشّدائد الّتي ألمت بهم، فهم في كنفه في غاية الأمان والسّلام ولو لاحقهم جميع مَن على وجه الأرض.

إذاً، دائمًاهو الحبّ، يومض مع كلّ طَرْفة عين، ومع كلّ خفقة قلب بين المحبّوالمحبوب(وهو الله سبحانه وتعالى)الذي يقتضي الإيمان الحقّ به ألّا يُقَدَّم على حبّه أيّ حبّ.

فما بالنا لا نعير هذا الحبّ الخالص اهتمامًا؟ أليس بفضله ندين بالأديان السّماوية التي تسعد قلوبنا وتقودنا إلى درب النّجاة ذاته...!؟.

كيف ذُكِرَ الحبّ في الآيات القرآنيّة :

ولنتابع معًا كيف ذُكر الحبّ في بعض آيات القرآن الكريم التي اخترتها من بين 76 آية ذُكرت فيها كلمة أو أكثر من الجذر(ح ب ب):

بسم الله الرّحمن الرّحيم

1- **"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ".**(165 البقرة)

2-**" وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".**(190 البقرة)

3-**" وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".** (195 البقرة)

4- **" لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ".**(92 آل عمران)

5- **" وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".**(134-آل عمران)

6- " فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".(13 المائدة)

7- "وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ".(42 المائدة)

8- "وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ".(64 المائدة)

9-"وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ".(22-النّور)

10-"وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ".(18 لقمان)".

بعد تتبّع بعض آيات القرآن الكريم، التي ذُكرت فيها الكلمات التي تنتمي إلى الجذر(ح ب ب)لا نملك إلّا أن نقف والألسن معقودة، والألباب مأخوذة دهشةً ممّا نجد فيها من الجمال ومن الإعجاز، الذي يعجز الإنسان عن إدراكه، وهو:

أن الحبّقد ذُكر في قرآننا العظيمأربعًا وثمانين مرّةً، منها ثماني وخمسون مرة مثبتةً غير منفيّةٍ، وستٌ وعشرون مرةً مسبوقةً بأداة نفي، وإذا أنعمنا النّظر في حقيقة الآيات التي ورد فيها الحبّبصيغة النّفي، وجدناها هي عين الإيجابيّة والتّثبيت. ففي الآيات المثبتة يقول الله (سبحانه وتعالى)في الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

▪ **" فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"**[1]

ثم يقول في معرض النّفي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

▪ **" وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"**[2]

_ بمعنى أنه يعاقبهم (شرح الجلالين)

- أنّ الله لا يحبّ مَنْ هذه صفته، فلا يحبّ أهل الفساد ولاالمفسدين، وإنّما يحبّ أهل الصّلاح والمصلحين. [1]

---

(1) (54 - المائدة)

(2) (64 – المائدة)

إذًا ... فعندما يقول الله (جلّ جلاله) بأنّه: (لا يُحِبُّالمفْسِدين)، فهو في المقابل يحبّ (غير المفسدين). فمن عظمة وكمال الله (جلّ جلاله) وجمال ورقّة لغة التّخاطب مع خلقه أجمعين، والّتي أودعها قرآنه العظيم، أنّه لم يستعمل كلمة (يُبغض) وهي نقيض يُحبّ (في لسان العرب) وذلك في معرض الحديث عن خلقه المخالفين، غير المؤمنين، وغير المتّقين، الذين يسعَوْن في الأرض فسادًا، أويتسبّبون في الفساد، وبكلّ صوره الممكنة سواءً بين النّاس، أو في إفساد طبيعة الارض وتدميرها، أو إفساد البيئة الكونيّة، وبالتّالي فهو فساد يُلحق بالنّاس أضراراً ماديّة وصحّيّة ومعنويّة أيضًا، وهو ما لا يريد له الله ولا يحبّ أن يحصل. بل قال: (لا يحبُّ)، وهذا التّعبير أقرب وأخفُّ وقعاً على القلب، وأكثر استجابة، وألطف على السّمع من تعبير البغض، لأنه حتّى في هذا السّياق يقدّم الحبّ على البغض وعدم الرّضى، وهو بهذا التوجّه اللّطيف، والحكيم، قد يساهم في انجذاب الإنسان إلى ما يُدعى إليه من صالح الأعمال والأقوال، ومن شتّى أساليب العبادة. وهو بطبيعة الحال ممّا لايتأتّى في حالة النّفور من أسلوب التّخاطب والدّعوة.

وقد ورد ذلك في ستٍّ وعشرين موضعًا في القرآن الكريم.

فنجد أنّالله (جلّ جلاله) قد أبقىبهذاعلى الحبّوقدّمه كقاعدة أولى في علاقته بخلقه، حتّى في حالات ابتعادهم عن المنهج.

وعليه؛ففي الآيات المنفيّةجميعها، نجد أنّ علاقة الله بعباده في الأصل، هي علاقة (الحبّ)، وأنّ الله لا يبغض، ولا يكره، ولا يهمل، بل هو يحبّ، بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من خير، وما على الإنسان إلا أن يعزّزهذه العلاقة بقلبه وجوارحه، وألّا يفسدها، وذلك لا يتمّ إلا باتّباع أوامره، والانتهاء عن نواهيه، وهذا بدوره يقتضيتقديم فيض حبّ الانسان لله (جلّ في علاه)، على حبّ أيّ شيءٍ سواه، ولا يعبد مخلصًا إلّا إيّاه. فلا يدعه يراه إلّا حيث أمره، ولا يفتقده إلّا حيث نهاه.

---

(1)(عائض القرني _ 2010)

فـإن كـان الله وهـو الخـالق يبتعـد عـن ذكـر الـبغض بينـه وبـين عُصاته، بل يسند أفعالـه وعلاقاتـه بهم إلـى الحـبّ أو عدم الحـبّ، والله هو الأكبر، فما بالنا نحن الصغار- بني البشر- نستنكف عن هذا الحـبّ ونبتعد عنه في علاقاتنا الإنسانيّة ...؟؟

أليس الحـبّ هو روح العطاءوالتّسامح والعدل؟ وهـي جميعهـا إكسير السّعادة الإنسانيّة...؟

ولنتأمّل هذه الآية الكريمة التي تخاطب كلّ من آمن بـالله، أنـه سيكون في أمن وفرح وسعادة:

بسم الله الرحمن الرحيم

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ". (1)

كيف ذُكِرَ الحبّ في الأحاديث النّبويّة الشّريفة...؟

ولنا في مجمل الحديث الشّريف مايزيد الأمر وضوحاً بالنّسبة لموضوع الحبّ ونظرة الإسلام إليه.

ولنتأمل فيما يقولهالنّبيّ (صلى الله عليه وسلّم) في حديثه الشّريف:

"لا يؤمنُ أحدكُمْ حتّى يكونَ اللهُ ورَسولُهُ أحبَّ إليْهِ مِنْ نَفْسِهِ ومَالِهِ ووَلَدِهِ"

وكلّ ابن آدم يدرك أنّ هوى الطّبيعة البشريّة يتمثّل في هذه المحبوبات الثّلاث:

- النّفس وتقديم كلّ ما تميل إليه من أهواء-وما أكثرها-وغواية طول الأمل في البقاء.
- المال وكلّ إغراءاته وغوايته، وتوفير أسباب البذخ والرّخاء، وحجبه النّفس، والميل بها ومنعها، من السّيْر على طريق الهدى والتّقى والنّور.
- الأولاد وما يبعثونه في النّفس من الأمل في المستقبل، ومن الشّعور بالسّعادة والحيويّة والاستمراريّة، وكذلك الشعور بالقوّة، والحُلم بامكانيّة السّيطرة على الغير، وتعاظم الشّعور بالتّعالي والتّكبّر.

لهذا اشترط الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) ألّا يكون الإنسان مؤمنًا بدين الله، ومتّبعًا لشرعه، الّا إذا قدّم حبّ الله على كلّ ما تحبّ نفسه البشريّة الضّعيفة. ولو تريّثنا قليلًا، وأمعنّا النّظر بهذا الحديث، لاستنتجنا أنّ الإيمان والحبّ، هما طرفا معادلة متساوية. فاذا أحبّ الانسانُ اللهَ ورسولَه، حبًّا صادقًا مخلصًا، فإن حبّه يتوازى مع الإيمان، ويرتقي به إلى التّزكية والفلاح، والغفران، وعدم الانقياد لأهوائه ولغواية الشيطان .

---

(1) (المائدة- 69)

- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَاتُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَاأَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَبَيْنَكُمْ".

ففي هذا الحديث توجّه إلى النّاس والخلق أجمعين، بأن يؤمنوا بالله الواحد، ولكنّ الإيمان لا يتحقق لهم إلّا إذا تحابّوا بينهم، ثمّ بيّن كيف يتحابُّ الناس، فقال:

- أفشوا السّلام بينكم.

أي بينكم أيّها النّاس جميعًا، حتّى تكون الجنّة هي جزاؤكم ومأواكم في الآخرة، وحتّى يعمّ السّلام والوئام بين بني البشر كافّة، في الحياة الدّنيا، وفي كلّ أصقاع الأرض. فإذا أفشى الإنسان السّلام على من له علاقة به، لا يمكن للحرب وأدواتها أن تتفشّى، لأن السّلام والبغضنقيضان، لا يجتمعان. ففي هذا الحديث القيّم نداء لتحرّي الحبّ بين جميع بني البشر، وبأبسط الوسائل وبأرقى الأدوات ألا وهو **إفشاء السّلام**، بإلقاء التّحيّة، هذا بأبسط تفسير، وكذلك اللطف في التّواصل ولغة التّفاهم، والحوار الإيجابيّ، ورفع راية العفو والتّسامح، لتعمّ المحبّة، ويعمّ السّلام أرجاء الأرض قاطبة، فلا يكون الجزاء لهؤلاء المتحابّين إلّا دخول الجنّة، والحديث موجّه إلى النّاس كافة دون أيّ تمييز أو تخصيص.لأنّ الرّسالة عامّة لكلّ من ينضوي تحت راية السّلام والمحبة بين النّاس.

- عن معاذ(رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول:

"قال الله عزّوجلّ: المُتَحابّونَ في جَلالي، لَهُمْمَنابرُ مِنْ نورٍ، يَغْبطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّهَداءُ"

وفي هذا الحديث توجّه وتوجيه للتحابّ في الله (جلّ جلاله) لتكون للمتحابّين فيهفي الآخرة منابر من نور، يُغبطون عليها من أرقى فئات المؤمنين، وأقربهم إلى الله، وأكثرهم كرامة عنده، ألا وهم النّبيّون والشّهداء. فهل بعد هذا التّكريم من تكريم لمن يبثّ حبًّا خالصاً للنّاس في جلال وجه الله.

- عن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب (رضي الله عنه)عن النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال:

"إذا أحَبَّ الرَّجُلُ أخاهُ، فَلْيُخْبِرْهُأنّهُ يُحِبُّهُ".

وفي هذا الحديث توجُّه الى البوْح والإخبار عن الحبّ، مما يعودبالشّعور بالألفة والتوادّ، والتّقارب والانسجام بين هؤلاء المحبّين. وهي دعوة راقية من رسول المحبّة والسّلام، لإظهار مشاعر الحبّ لمن نحبّ، والتّعبيرعنها بالكلام أيضًا، لأنّ ذلك يقرّب القلوب ويبثّ فيها الطمأنينة والسّعادة أكثر.

- عن عائشة (رضي الله عنها) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، بعث رجلًا على سريّة، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بِ (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) فلمّا رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فقال:

"سَلوهُ لأيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنّها صِفَةُ الرّحمن، فأنا أُحِبُّ أنْ أقْرَأ بِها. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): **"أخْبِروهُ أنّ اللهَ يُحِبُّهُ".**

وفي هذا الحديث اللّطيف نستشفّ جمال بوح المحبّ لحبيبه بتبادل الحبّ بينهما، فإذا كان بين العبد وربّه بهذه الأهميّة وحسن النتيجة، فما بالنا إن كان ذلك بين العبد وأخيه من عباد الله...!

نلاحظ أنّ كلمة الحبّقد كثر ذكرها في الأحاديث النبويّة الشّريفة، وقد وردت في سياق العلاقة بين العبد وربّه، وكذلكفي سياق العلاقة بين عباد الله بعضهم مع بعض. وفي سياق لم يتطرّق الى علاقة الرّجل بالمرأة، إلا إذا كانت هذه العلاقة أيضًا تندرج تحت مفهوم الحبِّ في الله، أو بعلاقة أباحها الله بدينه وشرعه ولم يكشف غلالتها.

وقد حثّ على الحبّ، والتحابّ كعلاقة انسانيّة، بين المؤمنين، وكذلك أيضًابين النّاس كافّة، وذلك في حديثه الشّريف:

"أحِبَّ لِلنّاسِما تُحِبُّل نَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا"

يا للرّوعة...!

يا لروعة هذا الحديث، الّذي لم يتحيّز لأمّة، أو يخصّهاهي بعينها، أو لطائفة معيّنة، دون غيرها، بل قال أحبّ للنّاس...أيًّاكانوا، وأينما كانوا، ومهما كانت أحسابهم وأنسابهم، ومهما كانت معتقداتهم، أومعبوداتهم فلم

يُلأحبّمثلاً للمسلمين، أو للعرب، أو غير ذلك -فهذا هو دين الإسلام-دين المحبّة الغامرة، هذا هو دين الله، الدّين القويم الذي يتعامل مع النّاس كافّة. لأنّ رسالته للنّاس كافّة، دون اعتبار لدين، أو لقوميّة، أو للون، أو عرق أو عنصر معيّن، حيث استعمل كلمة النّاس، وهي شاملة، لرفع شأن الإنسانيّة، والتعامل بمستوىً واحد، وبمعيار واحد، مع جميع بني الإنسان، وزرع بذور المحبّة في حقول علاقاتهم على اختلافها. وكأنّ النبيّ(صلّى الله عليه وسلّم) أراد أن يبلّغنا أنّ الحبّ والإسلام هما طرفا المعادلة في التعامل الإنسانيّ، والتّأكيد على أن المعيار بأن يكون الإنسان مسلمًا، أو غير مسلم، هو بأن يحبَّ للنّاس ما يحبّ لنفسه، وكأنّ هذه المرتبة أعلى من مرتبة الصّلاة والصّيام، وغيرها من الاركان، عند الله ورسوله.

ألا يكفي هذا الحديث دون غيره، ليؤمن الناس جميعًا بصدق هذه الرّسالة، التي لم تخصّ أُناسًا بعينهم، بل كانت دعوة عامّة لكل النّاس، وبأنّها رسالة تظلّل كلّ بني البشر في ظلّها وظلّ ربّها...؟وأنّهالم تتقيّد بالعبادة وطقوسها، بل بشعور المحبّة والإيثار.

عندما يقعُ النّاسُ في شِبَاكِ الحبِّوالعِشق القاتل

أمّا ما يقع فيه النّاس، من الحبّ والعشقالقاتلبين الرّجل والمرأة، فقد قال فيه"ابن قيّمالجوزيّة"كلامًا يستحقّ الوقوف عنده والتأمّل والتدبّر:

- "هذا (أيْ العِشق) مرض من أمراض القلب، مخالِف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكّن واستحكم عزَّ على الأطبّاء دواؤه، وأعيى العليل داؤه".[1]

- ثم قال: "وعِشق الصوَر إنّما تُبْتلى به القلوب الفارغة من محبّة الله تعالى، المعْرِضة عنه المتعوّضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبّة الله والشّوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عِشق الصّوَر، ولهذا قال الله تعالى في حقّ يوسف (عليه السلام):

" كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَوَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المخْلَصِينَ".[2]

---

(1)(الطّبّ النّبويّ – ابن قيّم الجوزيّة -256)

(2) (سورة يوسف - 24)

فدلّ على أنّ الإخلاص سببٌ لدفع العشق وما يترتّب عليه من السوء والفحشاء الّتي هي ثمرته ونتيجته، فصرْفُ المسبِّبصرفٌ لسببه، ولهذا قال بعض السّلف:

(العِشْقُ حَرَكَةُ قلْبٍ فارغ)

يعني فارغًاممّا سوى معشوقه قال تعالى:

"وَأَصْبَحَ فؤادُ أمِّ موسى فارغًا إنْ كادَتْ لَتُبْدي بهِ"

1. "أي فارغًامن كلّ شيء إلّا من موسى لفرط محبّتها له وتعلّق قلبها به ".

فعلينا أنْ نضبط هذا الميل، قبل أن يصل بنا إلى درجة العشق، وهي درجة داء عضال يصعب الاستشفاء منها. وذلك بأن لا نجعلها لمخلوق مهما كانت أسباب قربه من قلوبنا، بل علينا أن نرى دائمًا أنّ الله هو الأقرب الى قلوبنا، فلا نُجتاز هذه الدّرجة إلّا للوصول إلى حبّه هو (جلّ جلاله)، دون سائر خلقه ومخلوقاته. الدّرجة العليّة من الحبّ، في حبّ صاحب الدّرجة التي لا تدركها الأبصار، ولا الحواسّ مجتمعةً، ألا وهو ربّنا الأعلى.بحبّنا وتوددنا له يصبح هذا الحبّ والودّ دواء، من كلّ داء يمكن أن يصيبنا، ويلمّ بنا، أو أن تراودنا نفوسنا إليه، والنّفس أمّارة بالسّوء، إن لم يهذّبها الحبّ الإلهيّ الأسمى. هذا الحبّ الّذي يبثّ فينا طاقة إيجابيّة بنّاءة تجعلنا نساهم في:

"عبادة الإعمار لا الدّمار"

عملًا بالآية الكريمة:

(هُوَأَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [1]

2. يقول: هو ابتدأ خلقكم من الأرض. وإنّما قال ذلك لأنّه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمَنْ هم منه.

(وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) يقول: وجعلكم عُمّاراً فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيّام حياتكم. من قولهم:" أعْمر فلانٌ فلاناً دارَهُ"، وهي له عُمْرى".

---

(1)(هود – 61)

ونفهم من ذلكأنَّ الله طلب، بل أوْكل إلى بني البشر تعمير الأرض، وإعمارها وصيانتها.

وبذلك كلّه نكون عبادًاصالحين، فلا تغرينا كلّ أشكال المغريات، لكي نبتعد عن منهج الله، وعن جادّة الهُدى، والتُّقى، والخير والعطاء والإعمار، وهذا كلّه يندرج في مفهوم الحبّ.

وقد سبق وذكرنا، أنّالحبّقد ذُكر في القرآن العظيم أربعًا وثمانين مرة، منها ثمانٌ وخمسونَمرةًمثبتًا بين الله (جلّ جلاله) وبين عباده، ومنها ستٌّ وعشرون مرةً مسبوقاً بأداة نفي، فتستوقفنا هذه الأرقام مرّةً أُخرى، فلو قمنا بعمليّة حسابيّة بسيطة، لوجدنا

أنّالنّسبة المئويّة للحبّالمثبت تقارب نسبة الماء في جسم الكرة الأرضيّة، ونسبته في جسم الإنسان نفسه، وهي الثلثان تقريبًا.ونحن نعلم أنّ أولى وظائف الماء أن يهب الحياة ويبثّها في الأحياء، وفي اليابسة، وفي كلّ شيء.

اذاً فالماء كائن إيجابيّحيويّ، تتساوى وتتوازى نسبته في الكرة الأرضيّة، مع نسبة ذكر الحبّ بالإيجابيّة في القرآن الكريم، ولكونالماء حاملًا لكلّ أسرار الحياة، ولأنّه في الحقيقة يهب الحياة إلى الأجسام الميْتة. فعليه تتوازى نسبته مع نسبة إيجابيّة الحبّ والّتي بدورها تهب الحياة لمن يحملها ويعمل بها، تلك الحياة السعيدة الهانئة في الدنيا وفي الآخرة.

فما هي هذه المعجزة القرآنيّة اللّطيفة...؟

ما علينا إلا أن نتذكّر قول الله تعالى في الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ"

- جعلنا من الماء النّازل من السّماء والنّابع من الأرض، كلّ شيءٍ حيّ من نبات وغيره، فالماء سبب لحياته.
- وأنزل الغيث من السّماء، وأخرج النّبات من الأرض، وجعل الله من الماء كلّشيء حيّ. (1)

(1) (عائض القرني- 2010)

- نلاحظ أنّ الآية لم تقل كلّ شيءٍ حيًّا، وقد استدلّوا بها على أنّ الحيّ المراد به الحياة الإنسانيّةالتي نحياها، ولم يفطنوا إلى أنّ الماء داخلٌ في تكوين كلّ شيء، فالحيوان والنّبات يحيا على الماء، فإن فُقد الماء مات وانتهى، وكذلك الأدنىمن الحيوان والنباتفيه مائية أيضًا، فكلّ ما فيه لمعة أو طراوة أو ليونة فيه ماء. فالمعنى:
(كلّ شيءٍ حيّ) أي: كلّ شيء مذكور وموجود.
وهكذا...!

نجد أنّالماء والحبّكأنّهما طرفا معادلة، متساويان في توفير أسباب الحياة، على مختلف صورها، من الجامدة وحتى الحيّة المنظورة الإيجابيّة، الشّفّافة اللّطيفة المتدفّقة بالخير والعطاء والثّمر، الرّاقية بالعلاقة ما بين العبد وربّه إلى السّعادة في الحياة الاولى، وفي الحياة الآخرة. فإذا ما أحبّ الله عبدًا من عباده، أكرمه في الدنيا والآخرة، وإذا ما أحبّ العبد ربّه، أطاعه وانصاع لأوامره ونواهيه، على امتداد العمر به، لعلمه أنّها نابعة من محبّة الله له، وأنّها تعود بالفائدة عليه هو نفسه، ولا فائدة منها لله (جلّ جلاله) بل لكي ينال بها هذا العبد الحُسْنيين، في الدّنيا والآخرة.

فالماء يهب الحياة لكلّ الأحياء، على اختلاف أنواعهم وأجناسهم، وديانـاتهم ومعبوداتهم، ولا حياة لأيّ حيّ بدونه في هذه الحياة الدنيويّة الاولى، القصيرة الأمد. إذًا فالحاجة الى الماء حاجة مطلقة، لا حياة بدونها.

وكذلك الحبّ، فهو حاجة مطلقة، إذا تطلّعنا إلى الحياة السّعيدة، فلا سعادة بدونه، فهو يهب السّعادة في الحياة الدّنيا، لأنّه حاجة من حاجاتنا الحياتيّة الدنيويّة، التي لا غنىً عنها، وهو الذي يهب الحياة طعمًا ولونًا ورائحة، ويسهّل الصّعب، ويهوّن الكرب، به نجد المستنَد والمعتمَد، لنواجه كلّ ما يعترض طريق النّجاح والسّعادة في هذه الحياة الاولى. وكذلك في الحياة الآخرة، نقطف من ثماره اللامتناهية. فحبّ الانسان لخالقه يجعله من عباده المخلصين الّذين لا يدورون الّا في فلك التّقوى، والّذيبه يحظى الإنسان بالرّضى والسّعادة في حياته الدّنيويّة الفانية في نهاية الأمر.وبه ينال الجزاء الأوفىفي حياته الأخرويّة، وهو النّعيمالمقيم فيالجنان.ولذا فانّ الحبّ المطلق لله يهب الحياة الدّنيويّة روح الجمال ومنتهى السّعادة. وفي الآخرة ينتهي بنا إلى الحياة المطلقة الأبديّة، الّتي لايعتريها أيّ تغيير، أو ضعف، أو فناء،

حياة النّعيم والخلود في الجنّة الموعودة، الّتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فماذا بعد هذا العطاء...؟ هذاالعطاءالّذي ما هو إلا ثمرة الحبّ المطلق المتبادل، والذي ليس قبله أو بعده أي حبّ، بين الخالق والمخلوق...!

أفلا يتأمّل ويصدّق هؤلاء المنكرون والكفّار، فيؤمنون بقدرة الله ووحدانيّته، فيخلصون له العبادة والولاء...؟

فإذا كان الله الذي(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) يحبّنا كلّ هذا الحبّ، ويمنّ علينا بخير العطاء، فهو قد سخّر لنا كلّ الكون، منه ما نعلمه ونعلم مجال تسخيره، بعلمنا المتواضع الضئيل.ومنه ما لا نعلمه، ولا نعلم مجال تسخيره، بقلة علمنا أمام علمه الواسع المحيط بكلّ شيء. فهو يكرّر كلمة (لكم)، ويذكّرنا أنّ ذلك كلّه (منه).وقد ورد ذلك صريحًا في الآية الكريمة، وهي واحدة من خمسٍ وعشرين آية تذكّرنا بحبّ الله، وتسخيره كلّ الكون لراحتنا وبقائنا. حيث قال (جلّ من قائل) في الآية الجامعة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

"اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ". (45 - الجاثية)

سخّر لنا البحر وما في السّموات وما في الأرض جميعًا منه أي بأمرٍ منه، كلّها تعمل لاستمرار حياتنا وتسهيل أمورنا. والبرهان القاطع والسّاطع والأقرب والأعجب، يوجد في أجسادنا نحن أنفسنا، فقد سُخِّرت جوارحنا وكلّ أعضائنا مهما كبرت أو صغرت، وكل خليّة من خلايا أجسامنا سُخرت أيضًا لنا، تعمل دون انقطاع على تجديد واستمراريّة الحياة.ولإطاعة النّفس بما يرضيها ويرضي خالقها.أو لإطاعة النّفس في هواها بما يرضيها وبما لا يرضي الله خالقها.

لهذا فإنّالمنطق يملي علينا، بل والأوْلى بنا أن نشكر لله هذا العطاء والتّكريم، وأن نبادله هذا الحبّ، بل وأن نحبّه قبل كلّ شيء، وفوق كلّ شيء، حبًّا "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" إضافة إلى أنّها إشارة لطيفة منه تبارك وتعالى، بأنّ العلاقة بين بني البشر-وهم جميعًا خلق الله وأبناؤه-يجب أن تكون منسوجة بخيوط الحبّ، فالحبّغذاء روحيّ، يكفي لتوفير حياة سعيدة، هادئة وهانئة لجميع بني البشر، لأنّه يجمع في طيفه كلّ ألوان الصّفات الطّيّبة، من احترام متبادل، وحسن ظنّ، وتسامح وعطاء، وإيثار وتواضع، ومساعدة ومشاركة، وتكافل وكلّ أنواع العلاقات الحميمة، والتّعاملات السّويّة، التي تجعل من أرضنا قطعة من الجنّة، يحبّ النّاس فيها بعضهم بعضاً، وينعمون بالسّعادة

والطّمأنينة في حياتهم الأولى، ويعملون ويأملون بالسّعادة الأبديّة في (جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالأرْضُ أُعِدّتْ لِلْمُتّقينَ) الّذين لا يرَوْن إلّا بمنظار الحبّ، ولا يحكمون إلّا بميزان الحبّ، ولا يتعاملون الّا بعملة الحبّ ...

أما الحبّ الذي يتغنّى به النّاس، وهم لا ينسبونه الّا للرّجل والمرأة، فلا أظنّه يرقى إلى مستوى الحبّالمطلق، مهما حاولنا أن نقنع أنفسنا أو غيرنا.لأنّ حبّالله يتعالى ويرقى بنا إلى عالم الرّوح، اللامرئيواللامحسوس، الّذي لا يشتمله حيّز، ولا يقف عند حدود المادّةأبدًا. وهذا لا يمكن أن يتأتّى

إلّا في حبّ الذّات الإلهيّة فقط، ذلك النّور الذي لا تحدّه حدود، ولاتقوى على إدراكه المدارك. وأنّكلّ ما هو دون الله، يكون حبّه فرعًا من فروع الحبّ، وهو دون حبّ الله، لأنّه حُبّتغريهوتستهويه المادّة...ممّا تدركه حواسّنا ممّا نرى أو نسمع أو نشتهي.

وممّا يجذب النّظر، ويكمل مسيرة الإعجاز في هذا السّياق، أنّ الحبّ لم يرد في القرآن الكريم في معرض ذكر العلاقة بين الزّوجين، بل ذُكِرت المودّة والرّحمة في هذا المجال، فقال (جلّ جلاله) في كتابهالحكيم، في هذا المعنى:

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"(21 - الروم)

●فخُلقت حوّاء من ضلع آدم وسائر النّاس من نُطَف الرّجال والنّساء لتسكنوا إليها وتألفوها وجعل بينكم جميعًا مودّة ورحمة.
(شرح الجلالين)

●ومن البراهين الدّالة على عظمة الله، وقدرته، وجلاله، واستحقاقه للعبوديّة أنّه أوجد لكم من جنسكم-أيّها الرّجال-نساءً وجُعلن زوجاتٍ لكم، تسكن نفوسكم إلى العيش معهنّ، وجعل سبحانه بين الرّجل وزوجته محبّة وشفقة. (عائض القرني - 2010)

●من جنسكم والغايةهي السّكينة الرّوحيّة والهدوء النفسيّ، وحيث أنّ استمرار العلاقة بين الزّوجين خاصّة، وبين النّاس عامّة، يحتاج الى جذب قلبيّ وروحانيّ، فإنّ الآية تعقّب على ذلك مضيفة "وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً" (الشعراوي)

لقد عبّرالقرآن الكريم بهذه الآية الكريمة عن العلاقة الزوجيّة بأبهى أسلوب، وأرقى دلالة، بأنها علاقة حميمة متبادلة، تظلّلها المودّة والرّحمة والحنان، والتّعاون على السّرّاء والضرّاء، لهدف أعلى، وهدف مشترك، وهو حياة أسريّة هادئة وهانئة، ترقى بحياة الفرد، وبالحياة الاجتماعيّة عامة، إلى مستوى تسوده المودّة والرّحمة.

وكذلكالأمرفي سياق العلاقة العامّة بين النّاس بعضهم ببعض، إذا كانت إيجابيّة وطيّبة، لم يعبّر عنها القرآن الكريم بتعبير "الحبّ" ولكنّه عبّرعنها بتعبير يليق بهذه العلاقة وبمستواها البشريّ، وهي الرّأفة والرّحمة والمودّة، كما يتبيّن من الأمثلة التّالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

▪ "وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً"[1]

رهبانيّة: هي رفض النّساء، واتّخاذ الصّوامع[2]
وجعل الله في قلوب النّصارى أتباع عيسى (عليه السلام)لينًا وشفقة[3].

▪وقال (جلّ جلاله):

"قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى"[4]

●لاأسألكم عليه-أي على تبليغ الرّسالة-أجرًا إلّا المودّة في القربى؛ أي لكن أسألكم أن تودّوا قرابتي، الّتي هي قرابتكمأيضًا، فإنّ له في كلّ بطن من قريش قرابة. [5]

●قل _أيّها النّبي _ للكفّار: لا أطلب منكم على تبليغ رسالتي إليكم أجرة، ولا ثوابًا، فأجْري على الله وحده. ولكن أطلب منكم المودّة لقرابتي وصلة الرّحم بيني وبينكم، فقرابته(صلّى الله عليه وسلّم) لهم حقّ البرّ والاكرام والتّقدير إكرامًا له. [6]

الأمثلة السّابقة تثبت الرّأي بأنّ العلاقة بين بني البشر هي علاقة المودّة، والرّحمة، والرّأفة والمحبّة-وليست علاقة الحبّ الّذي تتداوله الألسن- لعلّ المودّة والرّحمة والرّأفة أشمل من الحبّ، والمقصود هنا طبعاً بين النّاس.

ومن آيات الإعجاز أنّ كلمة الحبّ في سياق العلاقة بين الرّجل والمرأة، لم ترد في القرآن العظيم إلّا في قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1)1 (27 - الحديد)
(2)(شرح الجلالين)
(3) (عائض القرني_ 2010)

(4) (الشورى - 23)
(5) (شرح الجلالين)
(6) (عائض القرني - 2010)

▪ "وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَّفْسِهِ **قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا** إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" [1]

●دخل حبّه شغاف قلبها أي غلافه.

●فقالت النّساء منكراتٍ على زوجة العزيز، كيف تراود هذه المرأة في شرفها، ومنصبها، غلامها وتخون زوجها، إنّها ما فعلت هذا إلّا بعد ما وصل حبّ يوسف غلاف قلبها واستقرّ في سويدائه.

وقوله (جلّ جلاله):

▪ "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا"

والحبّ منازل، وأوّل هذه المنازل "الهوى" مثل شقشقة النّبات، ويقال "رأى شيئًا فهواه".

وقد ينتهي هذا الهوى بلحظة الرُؤية، فإذا تعلّق الإنسان بما رأى، انتقل من الهوى إلى العلاقة، والعلاقة: الهوى والحبّ اللازم للقلب. والعلق الهوى يكون للرّجل في المرأة.

وبعد ذلك يأتي الكلف، أي: تكلّف أن يصل إلى ما يطلبه من هذه العلاقة.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرتبة فيها التقاء، وهي العشق(وهو شدّة الحبّ)، ويحدث فيها تبادل للمشاعر، ويعلن كلّ طرف كلفه، ولذلك يسمّونه "عاشق ومعشوق".

ثم ينتقل إلى مرحلة اسمها "التدليه"، أي: يكادأن يفقد عقله. ثم يصير الجسمإلى هُزال ويقال "تبلت الفؤاد" أي: تاه الإنسان في الأمر.

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الهُيام(كالجنون)، أي: يهيم الإنسان على وجهه، فلا يعرف له هدفًا، فإن تبع ذلك جرم صار اسمه "جوى".

تلك هي مراحل الحبّ الّتي تمرّ بالقلب، والقلب-كما نعلم-هو الجهاز الصنوبريّ، ويسمّونه مقرّ العقائد المنتهية، والّتي بحثها الإنسان واعتقدها بالفعل.

والتعبير: **"شَغَفَهَا حُبًّا.."**

---

1 (يوسف- 30)

تعني أنّ المشاعر انتقلت من إدراكها إلى عقلها إلى قلبها، والشّغاف هو الغشاء الرّقيق الذي يستر القلب، أي: أنّ الحبّ تمكّن تمامًامن قلبها. (تفسيرالشعراوي _المجلد 11)

وهكذا يمكن أن نفهم من هذا التّفسير، الجميل الوافي، الكافي، الدّقيق، الرّقيق، أنّ الحبّ يرقى إلى مرتبة الايمان والعقيدة، لأنّه مرّ بكلّالمراحلالتي تمرّ بها العقيدة قبل استقرارها. فمن الإدراك الحسّيّ إلى الفهم، إلى الإدراك العقليّ، ثم استقرّ في شغاف القلب، فأصبح عقيدةً لا تتغيّر، ولا تتبدّل.

وهل يليق الحبّ في مثل هذه المرتبة السّامية، الّا بالّذي وهب نعمة الحياة، ونعمة إشراقة نور الحبّ، في قلوب بني البشر ...!؟

ولا يخفى على من يتلو كتاب الله ويتدبّر آياته، بل لا يمكن أن يساوره أدنى شكّ، بأنّ العلاقة المذكورة في الآية السّابقة، كانت علاقةً غير شرعيّة، محرّمة، وغير لائقة أو مقبولة في العُرف، والتّقاليد الاجتماعيّة السّائدة في ذلك المجتمع-والّا لما وقع عليها لوم اللائمين لهذا السّبب-وكذلكفي أغلب المجتمعات، إن لم يكن كلّها، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.وهيعلاقة حبّامرأة لغير زوجها، كما كان حبّ زوجة العزيز لفتاها(سيّدنا يوسف عليه السّلام)الذي نزّهه الله عن السّقوط في جُبّ المعصية، والخنوع أمام الإغراء، وسحر الشّهوة، والدّخول إلى سجن غواية المرأة.

والّذي يهمّنا في هذا المقام أنّ هذا الشّعور والميل غير الشّرعيّ من امرأة العزيز نحوسيّدنا يوسف (عليه السّلام)، عبّر عنه القرآن الكريم بعبارة:

"قدْ شَغَفَهَا <u>حُبًّا</u>"

فهل لنا أن نفهم من ذلك أنّ العلاقة بين الرّجل والمرأة، إذا تجاوزت مرحلة المودّة والرّحمة، ومالت الى إشباع الغريزة تُسمّى حبًّا، وتكون قد طغت وتعامت عن الشّرع والعُرف والتّقاليد، وأصبحت شغفًا، لا يلوي من ابتُليَ به على شيءٍ غيره ...؟

وهل نفهم أنّ العلاقة بين الرّجل والمرأةلا تُسمّى حبًّا إلاإذا كانت في ظروف مشابهةللقصّة المذكورة فقط ...؟

وهل لنا أن نفهم من هذا السّياق أيضًاأنّ العلاقة الطّيّبة الشّرعيّة، والمقبولة بين الرّجل والمرأة في العرف الإجتماعيّ، هي فقط علاقة المودّة والرّحمة والرّأفة ...؟

ذلك، وقد لاحظنا أنّ الحبّ هو أسمى مراتب العلاقات، ولأنّ منزلة الحبّ تطغى على كلّ ما هو دونه، ولأنّه ذُكر في مجال علاقة العبد بربّه، وكأنّهذه المنزلة خاصة ولا تليق إلّابعلاقة المخلوق بالخالق فقط، وكأنّه يقول لنا وبأسلوب سلس ورائق، إنّه هو وحده الذي يليق به مقام الحبّ. أمّا كلّ ما دونه، فيجب أن تكون العلاقة به من بعض درجات الحب: كالمحبّة، والودّ، والمودّة، والرّأفة، والرّحمةومشتقّاتها ...!

وهل لنا أن نفهم من هذا السّياق أيضًاأنّ الحبّبين الرجل والمرأة هو علاقة جامحة، لا تعيقها العوائق، ولا تكبحها الكوابح مهما كانت؟

فامرأة العزيز عندما شغفها حُبّاً فتاها، لمتلتفت إلى أمانة العلاقة بينها وبين زوجها، إذ هو الأقربُ، والأوْلى، والأحقُّ بهذه العلاقة. وكذلك لمتتذكّر مقامها الرّفيع بين النّاس، وهي امرأة العزيز، ولم تستطع أن تكبح جماح شهوتها، حفاظًاعلى شرفها، وعفّتها وسمعتها، ولم يثنِها عن رغبتها فيه أنّه أدنى منها منزلةً، وهو فتاها- أي خادمها، ولم تستطع أنتتحكّمبعواطفهاالمتوثّبة، بأن تكبتها على الأقلّ، إلّم تستطع منعها نهائيًا، وهي امرأة متزوجة، وفي عصمة رجل آخر. فهي لم تحسب لعواقب هذا الحبّ حسابًا مهما كان، لأنّه استقرّوترسّخ في سويداء قلبها، كما يستقرّ الإيمان والعقيدة فيه، ولا يملك هذا الحبّ طاقة لكي يلتفتإلى المنطق، أو إلى العُرْف، أوإلىالمتغيّرات من حوله.

لـذلك فقـد تناسـت هـذه المـرأة أن زوجهـا قـال لهـا كمـا ذكـرت الآيـة الكريمة:

▪ "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" .[1]

إلا أنّها عندما شبّ يوسف (عليه السلام)وبلغ مبلغ الرّجال، تغيّرت نظرتها إليه من نظرة الحبّ الطّاهر للابن، إلى نظرة الحبّ والشّهوانيّة، فدعتـه إليهـا ولكنّـه رفـض، وتمنّـع واستعصـم عـن ذلـك، حتّـى وإن راودتـه وتمسّكت به، وقدّت قميصه من دُبُر، وحدث ما حدث، كما رواه لنا القرآن الكريم، ثمّ كيف زجّت به إلى السّجن، لأنّه لم يوافقها، ولم يطِعها على عمل ينافي حبَّه الأوّل والأعلى مخلصاً لله وشرعه.

هذاوقد ورد ذكر الحبّ المقترن بالنّساء مرة أخرى في القرآن في الآية الكريمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

▪ "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ" .(آلعمران - 14)

لقد اقترن الحبّ هنا بالتّزيين، ومن المعروف في المنطق البشريّ، الإيمانيّ، أنّ التّزيين لا يأتي إلّا من الشّيطان، ويأتي لتزيين وتجميل أمر سيّء، أو غير مقبول، أو غير مُباح، شرعًا أو عُرفًا إلى النّفس البشريّة، وهكذا فإنّه-من الأصل-يُعتبر هذا الحبّ في حُكم الباطل، لأنّه من تزيين الشّيطان للنّفس الضّعيفة، وهو قد ورد أيضاً مقترنًا بالشّهوات، وهي سرّالاندفاع نحو المعصية، بلوالسّقوط في غياهب المعاصي على اختلافها.

والّذي يجذب النّظر تارةً أخرى، أنّالله قد حذّرنا في الآية الكريمة المذكورة، أنّالحبّقد اقترن بتزيين الشّيطان، وأنّالله بعلمه المحيط بكلّ شيء، أعلمنا أنّ الإنسان سيميل إلى إغراء الشّيطان له، وهو بعلمه السّابق والمحيط، يعلم أنّ أشدّ الإغراءات للرّجل من بين كلّ مفاتن الدّنيا هي المرأة، ولذلك فقد ذُكرت النّساء كأوّل فتنة يقع فيها الرّجل. ولهذا فقد قدّم بالذّات حبّ

(1) (يوسف- 21)

الشّهوات من النّساء على حبّ البنين، ونحن نعلم ما يسبّبه البنون من الغواية للآباء، وكذلك قدّمه على حبّ المال، حتّى وإن توفّر وتكدّس بالقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة، وهو إن كانبهذه الكمية الهائلة، ليصل غاية الفتنة والغواية للإنسان لكثرته فضلًا عن حبّه، وهي صورة كاريكاتوريّة للجشع، وحبّ المال عند الانسان. ولكنّها تلفت الإنتباه إلى انّ حبّ النّساء مقدّم عند الرّجال على حبّ كلّ ذلك.

فما بالنا، لم نجد موضعًا واحدًا في القرآن الكريم، يذكر أنّ الحبّ هو تلك العلاقة النّقيّة الشّريفة بين الرّجل والمرأة ...!؟

إلّا أنّ هذا بدوره لا ينفي علاقة الحبّ بين الرّجل والمرأة، على أنتبقى في دائرة العقل والتعقّل، وفي مجال المباح والحلال، فلا تنفلت من هذه الدّائرة، لتصبح علاقةً شرسةًطاغيةً، لا تنضبط بضوابط الدّين والشّريعة والقيم.

ولنا أن نفهم من هذا السّياق أنّ هذه العلاقة بين بني البشر، لا ترتقي الى درجة الحبّ الخالص، لأنّ الحبّأسمى الدّرجات، ولا يرتقيهاأويصلها إلا الرّاغب في الحبّالأسمى، ألا وهو حبّ الله، لأنّهذا الحبّتُستنار به القلوب والعقول، فلا تفكّر، ولا تعمل، ولا تنشغل إلا بما يدور في هذه الدائرة النّيّرة، لذا فإنّ الله هوالأحقّ بهامن سائر المخلوقات، مهما بلغت درجة الإعجاب بهم، لأنّ درجة الحبّ النّقيّ، الخالص لا تليق إلّا بالخالق، الذي أوجد لنا قلوبًا تحبّ، وعقولًاتدرك وتنظّم مسرى هذا الحبّ، وأوجد لنا ما يستحقّ أن نحبّه هو من أجله، إن كان من النّساء، أم من البنين، أم من الأموال الطائلة من الذّهب والفضة.

"فَتَبارَكَ اللهُأَحْسَنُ الخالِقينَ".

ونخلص الى القول:

إنّه من الأجدر أن يوجَّه الحبّالخالص الذي لا ينتظر مقابلًا، أو مكسبًا ماديًّامن أيّ نوع كان. والذي لا يعيقه أيّ حاجز، نحو من لاتحدّه حدود، ولا تحجزه حواجز.

وهو:

الله

(جلّ جلاله)

الله، الّذي أوجد كلّ مَن نحبّ، وكلّ ما نحبّ في هذه الحياة. فلو كان حبّ الله هو الذييملأ قلب امرأة العزيز، ويستقر في سُويدائه كما العقيدة، لاشتغل عقلها النّيّر بهذا الحبّ، ولعَقَلَ رغبتها المتوثّبة، ولما وقعت في غواية الشّيطان، الّذي زيّن لها ما فعلت، ولما التفتت إلى حبٍّ ومحبوبٍ أصغر، ولمَا وقعت في شَرَك الغواية، ولمنعها الحبّ الأكبر-حبّ الله-من أن تجتازه لتخطئ في الحبّ الأصغر، الذي لا يعطي للعقل فرصة العمل واتّخاذ القرار، هذا الحبّ الذي تستدرجه المادّة وتفتنه، وهو المتغيّر والفاني؛ كحبّامرأة العزيز ليوسف عليه السلام.

وقد تنبّه العالم المرحومد. إبراهيم الفقي إلى تيّار الحبّ الجارف لغير الله، ومن دون الله، الّذي يحيق بالبشريّة، ألا وهو حبّ الشّهوات، واللّذات على اختلاف أنواعها ومصادرها، وكل ذلك بدون وازع، ولا رادع، فحاول أن يساهم في توفير بعض اللّقاحات لمنع، أو إضعاف استشراء هذا الدّاء في نفوس النّاس، وبالذّات المحبّين، والمؤمنين منهم، وذلك بتقسيم دائرة الحبّ إلى سبع دوائر متكاملة: [1]

1. حبّ الله: حبّ الله سبحانه وتعالى ليس بالكلامولكنّه بالفعل.
2. حبّ المخلوقات: إنّ من حبّ الله سبحانه وتعالى أن تحبّ كلّمخلوقاته.
3. حبّ النّفس: من حبّك لله سينبع حبّك لنفسك لأنّك معجزة أبدعها الله عزّ وجلّ.
4. حبّ الوالدين: عليك أن تحبّ والديك مَهْمَا فَعَلَا.
5. حبّ العائلة: لا بدّ لنا أن نصل لمرحلة ندرك فيها كيف نحبّ وكيف نجهر ونعلن عن هذا الحبّ.
6. حبّ العمل: عليك أن تتعلّم كيف تحبّ عملك وكيف تعطي فيه بكلّ جهد.

(1) (قوة الحبّ والتّسامحد. ابراهيم الفقي- 2012)

7. حبّ النّاس: يجب على الإنسان أن يحبّ النّاس بلا شروط، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في الحياة بمفرده.

ويقول الدكتور الفقي قولًا جميلًا في الحبّ:

"واعلم أنّ الحبّ هو أساس الحياة، ونعمة عظمى من الإله-سبحانه وتعالى-فلا تحرم نفسك أن تعيش في ظلّ تلك النّعمة العظيمة".

نعم...!

حقًّا إنّ الحبّ نعمة من الله، ولكنّها تتفاوت بدرجاتها، من نعمةٍ إلى أُخرى، بعد أن تصل إلى النّعمة الأسمى، وهي نعمة حبّ الله الخالق والواهب لكلّ هذه النّعم. فمن حبّنا له نحبُّ كلّ مخلوقاته.

الْغَرام

أمّا بالنّسبةللغرام، فإنّه لم تُذكر كلمة (غرام) في القرآن الكريم إلّا مرةً واحدة فقط، وذلك في سياق يختلف تمامًا عمّا يستعمله الناس في هذا المعنى، وذلك في قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

- **"رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا"**. (65 - الفرقان)

أما معنى الغرام في لغتنا العربيّة فهو:

-الغرام: التّعلُّق بالشّيء تعلّقًا لا يُستطاع التّخلص منه.

-الغرام: العذاب الدّائم اللّازم.

-المغرَم: المثقل بالدَّيْن. أو المولع بالشّيء لا يصبر على مفارقته.(المعجم الوسيط)

- لازمًا. (تفسير الجلالين)
- وهم مع كثرة عبادتهم، وإخلاصهم، واجتهادهم في الطّاعة، يخافون عذاب الله، لأنّ عذاب الله يلازم من يستحقّه، كما يُلازم الغريمُ غريمَه ليستوفي حقّه. (عائض القرني _ 2010)

فاللفظ هنا ورد في تصوير عذاب يوم القيامة، ونارهاالحامية على جلود الكفّار، وهم في هذا الموقف ليسوا متعلّقين بشيءٍلا يريدون التخلّص

منه، بل يدعون ربّهم أن يصرف العذاب عنهم، وهو العذاب الملازم لهم، كما يلازم صاحب الحقّ غريمه ليحصل على حقّه.

وهكذا فقد وردت كلمة الغرام هنا في معنى "العذاب الدّائم والمستديم في جهنّم، الذي لا يُستطاع التخلّص منه، وكأنّه أُغرم به" ولهذا فهم يدعون الله (جلّ جلاله) أن يصرف عنهم العذاب الذي يوازي الغرام في شدّته وملازمته.

أما الآية:

بسم الله الرحمن الرحيم

▪ "إِنَّا لَمُغْرَمُونَ". (66 - الواقعة)

●إنّنا مغرمون نفقة زرعنا. (وهذا كان من العذاب الدّنيويّ)(شرح الجلالين)

●وتقولون إنّنا خسرناه وذهب منّا(أي خسروا زرعهم)، وهذا عذاب حلّ بنا. (وهذا كان في الدّنيا). (عائض القرني - 2010)

فالتّعبير هنا لا يقبل التّأويل على أنّه الولع بالشّيء، حتّى لا يُصبَر على مفارقته. فهم في جهنّم يذوقون ألوان العذاب والحريق، من نارها، ويُذكّرون بعصيانهم، وميلهم عن جادّة الحقّ، وعدم أداء فروضهم فيالحياة الدّنيا. بل كانوا يدّعون بأنّهم قد خسروا زروعهم وأُثقلوا بالدّيون، فهم محرومون من الرّزق والخيرات في هذه الدّنيا بإهلاك زرعهم. فهم مغرمون أي خاسرون. وهكذا فلم يرد لفظ الغرام بمعنى الحبّ والتعلّق بالمحبوب أبدًا في قرآننا العظيم.

إنّ مرتبة الحبّالخالص لتسمو على كلّ شيءٍ دونه، لأنّها نورانيّة روحانيّة، إذًا هذه المرتبة لا تتناسب ولا تليق إلا بالخالق، الله سبحانه وتعالى، لأنّه هو النّور الغامر، وهو الرّوح القدس، وهو الخالقالقادر، الذي أوجد النّاس وما يحبّون...

لهذا فالحبّ بين النّاس، عاطفة شريفة وكريمة وموجودة، ولكنّها تبقى تحت مستوى الحبّ الالهيّ، لانّها حتمًا وبالطّبيعة الحياتيّة، سيكون لها هدف ماديّ ودنيويّ، يرزح تحت نيرالهوى. ولهذا يكفي النّاس جزيئات من الحبّ،

لمثل هذه العلاقات الانسانيّة الدنيويّة...كالمودّة، والرّحمة، والودّ، والمحبّة، والتآلف، والحميميّة.

نستطيع أن نستشِفّ من كلّما تقدّم، وأن نستنتج أنّ الحبّ مراتب، وقد نتّفق بأنّ درجة الحبّالخالص لا تليق إلّا بموجد الحبّ، لأنّ المحبّ لا يرى فوق من يحبّ أحدًا أو شيئًا، وهو لا يدّخر جهدًا لإرضاء شهوته، أو إرضاء المحبوب بما أعزّه أو أهلكه.ولذا يكون هذا المحبوب بأرقى المواقع، أي فوق كلّ ما له مكان في القلب، وهل يجوز أن نُعلي شأنًا أوشيئًا على العليّ سبحانه وتعالى ...!

- "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى- 11)

لذلك فإنّالحبّ الذي لا يعيقه، ولا يمنعه، ولا يضعفه، ولا يغيّره أيّ سبب من الأسباب، يجب أن نوجّهه إلى ربّ الأسباب... وذلك لأنّ الحبّ لا يسمح للعين أن ترى أحدًا، أو شيئًا فوق المحبوب، في كل ما يسرّها ويلذّ لها. فكيف نسمح لأنفسنا أن يكون الحبّ لأيّ شيءٍ سوى الله، لأنّه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** وليس فوقه شيء، وليس كجماله أيّ جمال، فهو خالق الأشياء، وهو فوق كلّ المخلوقات، وهو مَن أبدع الجمال. فهو فقط الذي يستحقّ منّا درجة الحبّ، لأنّه أوجد لنا من نحبّهم، ونُغرم بهم أو بجمالهم، وأوجد لنا ما نحبّ من سائر أنواع الجمال في هذه الدّنيا، ممّا يسرّ العين، ويطيب لها، وممّا يلذّ للقلب، ويغبطه، وممّا تأنس له النّفس فتسكن، وترضى.

وذلك حتى بأبسط الأسباب يمكن أن يتأتّى، كأن يرى الانسان على جنبات الطّرقات أزهارًا تنمو، وتشقّ طريقها بين الصّخور الصّماء، لتسبّح الخالق ليل نهار، الذي منحها قوّة الحبّ، وإرادة الحياة لتبثّ لون، وشكل، ورائحة الجمال والحنان، من أقسى وأصعب العناصروالأماكن، ولتبعث الأمل لكلّ من ينظر إلى قسوة الحياة، بأنّ هناك خالقًا يدبّر الكون ويسهّل الصّعب، بلغة الحبّ والجمال والعطاء السِّرِّيّة.

إذًا؛فليكن الحبّخالصًا لوجه الله (تبارك وتعالى)، الذي نرى تواقيع حبّه أينما نظرنا في هذا الكون اللامتناهي، وليس لأحد سواه.

الحبُّلغةُ الرُّوح ...!

الحبّ لغة الرّوحوالإحساس، ويظلّ مقدّسًاطالما حلّق في فضاءيهما. فإذا ما تجسّد وحاور الأجساد، تغيّرت لهجته، واتّخذت حروفًا وتراكيب أخرى، تتجسّد وتتماثلُ مع الأجسادالتي تحاورها.

وعلمًا بأنّ كلّ ما يحيط بنا على هذه الأرضماديّ، أو من حصاد المادّة، فإنّ حبّه كلّه لا يرقى إلى الدّرجة العليا من الحبّ، ويبقى بينه وبينها مسافة سموّ الرّوح عن الجسد.

وهل يقوى على بلوغ هذه الدّرجة إلا من تعلّق قلبه، وأخلص حبّه لخالق الأرواح كلّها، وحافظ سرّها الله(جلّ جلاله)..؟

أسرارُالحُبّ

هذه الكلمة الصغيرة في مبناها، الكبيرة في معناها، هي سرّ الوجود وصلاحه، كما يمكنها أن تكون سرّ فساده.

فإذا سرى الحبّ، بنفسِ قَدْرِ الإشعاع والارتداد، بين الرّجل والمرأة كليهما، وبين ذوي الأرحام، وبين الوالدين والأولاد، وبين الجار وجاره، وبين جميع أفراد المجتمع، وبين النّاس كافّة، وبين النّاس وأوطانهم، وبين النّاس والوطن الكبير، ألا وهو هذه الأرض، وهذا الكون بأكمله، الذي سخّره الله لبني الإنسان، وبين النّاس وخالقهم، عندهايسود الأرض ومن عليها الحبّ والسّلام فتنطلق الحياة إلى مسار العطاء والخير والفلاح في عالمنا، وتكون لنا جنّة في الدُّنيا قبل الآخرة.

أمّاإذا ما ارتدّ الحبّ إلى النّفس فقط، وأصبح السّعي وراء المصلحة الفرديّة الشخصيّة، دون غيرها، وأصبح الحبّ أنانيّة قاتلة؛عندها فإن الرّجل والمرأة لا يحبّ أحدهما الآخر، إلا من أجل إشباع شهوته الخاصّة. أو طمعًافي ربح خاصّ ماديّاًأو معنويّاًمعيّناً. وهنا يحبّالمسؤول كرسيّه ومنصبه فقط، ولا يهمّه من غيره أو ممّن وراء الكرسيّ شيء أو أحد. وكذلك العالِم يحبّ علمه من أجل اسمه، وشهرته، وفرص ربحه الماديّ، وليس حبًّا في الخير للنّاس والإنسانيّة.وإذا ما أصبح كلٌّ في مكان مسؤوليّته ليس براعٍ، ولا بمسؤولٍ عن رعيّته، بل لا ينظر إلّا في مرآة تعكس حبّه لنفسه وأنانيّته فقط، عندها تتعثّر الحياة وتكبو على مسار الشرّ والدّمار، في الدّنيا والآخرة.

الحُبُّ عالَمٌ مفروشٌ بالورود

الحبُّ، هذا العالم الرّوْحانيّ المفروش بالورود، لا سيّمافي نظر الشّباب المقبل على الحياة، والّذين هم على استعداد لتقديم الرّوح، رخيصة في سبيل المحبوب. فهم وبِحُكم جيلهم الصّغير، وخبرتهم وتجاربهم الحياتيّة القليلة، قلّما يتنبّهون إلى حقيقة أنّ هذا الحبّ لا غرابة في ألْايدوم، لأنّه رهين وسجين الزّمان والمكان والهدف، ولانّه يتعلّق بأسباب إمّا أن تكون ماديّة ملموسة، كالجمال، أو الجاه أو المال وغيره، ممّا لا ضمان لاستمراره، لانّه حتمًا سيضعف، ويتغيّر بتغيُّر الأسباب، أو يزول بزوالها. وإمّا أن يكون هذا الحبّلأسباب روحيّة، شعوريّة، حسيّة، غير منظورة، وغالبًا ما يكون هذا أيضًاقابلًا للتغيّر، لأنّ القلب قُلّب.

وقد ورد على لسان الجُنَيْد:

" كُلُّمَحَبَّةٍ كانت لغرضٍ، إذا زال الغرض زالت المحَبّة" (1)

وعلينا أن نؤمن أنّ هناك محبوبًاليس له غرض عندنا، أو في حبّه لنا، إلّا أن حبّه لنا لا يضعف، ولا يفتُر، ولا يغيب، ولا يتغيّر، ولا يزول، ولا يحدّه مكان أو زمان، ولا يغدر، ولا يخون، ولا يظلم، ولا ينسى، ولا يُحابي، سبحانه الواحد الأحد، الفرد الصّمد، هو أهلٌ للحبّ الحقيقيّ الخالص الصّادق، الذي سكبه على إنسانيّتنا بأن يرتدّ إليه بنفس الدرجة والإيثار، لأنّه هو أهل لذاك وللتّقى والإيمان.

ألا يستحقّ منّا كلّ حبّنا وإيماننا، وإخلاصنا، مَن يحبّنا ويخلص حبّه لنا دون أيّ هدف أو مصلحة خاصّة...؟

فلْنُحبَّ

ترانيم

قيلَ: أوصى الله تعالى إلى داود(عليه السّلام):

" يا داودُ حرَّمتُ على القلوبِ أنْ يدخلَها حبِّي وحبُّ غيري"

وما أصدق!وما أجمل ترانيم مَن وصلوا إلى مرتبة الحبّ الأول والخالص لوجه الله! فهذه رابعة العدويّة، تلك المرأة التي شقّت نفسها،

(1) الموسوعة الشّاملة – الرّسالة القُشَيْريّة.

وتسامت روحها، حتى توصّلت إلى الحبّ الحقيقيّ الصّادق المطلق-حبّ الذّات الالهيّة.

فقالت شعرًا:

أحبُّكَ حُبّين حُبُّ الهوى وحُبٌ لأنكَ أهلٌ لِذاكا

فَأمّا الّذي هُوَ حُبُّ الْهَوى فَشُغْلي بِذِكْرِكَ عَمّنْ سِواكَا

وَأمّا الّذي أنْتَ أهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ الْحُجْبَ حَتّى أراكَا

وقالت:

حبيبٌ ليس يعدلُهُ حبيبُ وما لسِواهُ في قلبي نصيبُ

حبيبٌ عن بصري وشخصي ولكنْ عن فؤادي لا يغيبُ

وقالت:

راحتي يا إخوتي في خَلْوَتي وحبيبي دائمًا في حضرتي

لم أجِدْ لي عن هواهُ عِوَضًا وهواهُ في البَرايا مِحْنَتي

حيثُما كُنْتُ أشاهدُ حُسنَهُ فهو مِحرابي، إليه قِبلتي

وقالت نثرًا:

- لا أعْبُدُ رَبّي خَوْفاً مِنْ نارِهِ، أو شَوْقاً لِجَنّتِهِ، وَإنّما أعْبُدُهُ لِمَحْضِ الْمَحَبَّةِ وَالإخْلاص.
- إلهي أتحرقُ بالنَّار قلبًا يُحِبُّك؟

ولعلّ هذا من أجمل ما قيل في حبّ الذّات الالهية.

وقد ورد عن أبي عليّ الدّقّاق، أيضًا في هذا المعنى، أنّه جاء في بعض الكتب المنزّلة:

○ **"عَبْدي، أنا وَحَقِّكَ لَكَ مُحِبٌّ، فَبِحَقّي عَلَيْكَ كُنْ لي مُحِبّاً ".**(1)

(1)(شرح نهج البلاغة ج11 – ابن أبي الحديد).

من ترانيم الحلّاج الجميلة نقتطف:

واللهِ لـو حلـفَ العُشّـاقُ أنَّهُـمُ ... مَـوْتى مـنَ الحـبِّ أو قتلـى لَمـا حَنَثـوا

قومٌ إذا هُجروا مِن بعد ما وُصِلوا ... ماتوا، وإن عادَ وصلٌ بعدَهُ بُعِثوا

ترى المحبّينَ صَرْعى في ديارِهُمُ ... كفِتْيـةِ الكهفِ لا يدرونَ كم لبِثوا

وقال:

قلـوبُ العـارفينَ لهـا عيـونُ ... تـرى مـا لا يـراهُ النَّاظرونـا

وأجنحـةٌ تطيـرُ بغيـرِ ريـشٍ ... إلـى ملكـوتِ ربِّ العالمينـا

وقال:

يانسـيمَ الـرُّوحِ قـولي للرَّشـا ... لـم يزدنـي الـورْدُ إلّـا عطشـا

لـي حبيـبٌ حبُّـهُ وسْـطَ الحَشـا ... إنْ يَشَـأْ يمشـي علـى خدّي مشـى

روحُـهُ روحـي وروحـي روحُـهُ ... إنْ يَشَـأْ شِـئتُ وإنْ شـئتُ يَشـا

ومن أجمل ما قال :

واللهِ ما طلَعتْ شمسٌ ولا غرَبتْ ... إلّـا **وحُبُّـكَ** مقـرونٌ بأنفاسـي

ولا جلسـتُ إلـى قـومٍ أحـدّثُهم ... إلّـا وأنـتَ حـديثي بـينَ جُلّاسـي

ولا ذكرتُـكَ محزونًـا ولا فَرِحًـا ... إلّـا وأنـتَ بقلبـي بـينَ وسواسـي

ولا هَمَمْـتُ بِشُـربِ المـاءِ مـنْ عطـشٍ ... إلّـا رأيـتُ خيـالاً منـكَ فـي الكـاسِ

ولـوْ قـدِرتُ علـى الإتيـانِ جئتُكُمُ ... سعيًا على الوَجهِ أو مشيًا على الرّاسِ

ويا فتى الحيِّ إنْ غنَّيْتَ لـي طرَبًا ... فغَـنِّ وارحَمتـا مـنْ قلبِـكَ القاسـي

مـالي وللنَّـاسِ كم يَلْحونني سَفَهًا ... دينـي لنفسـي وديـنُ النَّـاسِ للنَّـاسِ

أما أبو يزيد البسطامي فمن أروع ما قال:

عجبتُ لِمَنْ يقولُ: ذكرتُ إلْفي ... وهل أنسى فأذكرُ ما نسيتُ

أموتُ إذا ذكرتُكَثَمَّ أحيا ... ولولا حُسْنُ ظنِّي ما حييتُ

شربْتُ الحُبَّ كأسًا بعدَ كأسٍ ... فما نَفِدَ الشّرابُ وما رويتُ

فأحيا بالمنى وأموتُ شوقًا ... فكم أحيا عليكَ وكم أموتُ

ولنتمتّع برقّة شعر أبن الفارض :

تراهُ إنْ غابَ عنّي كلُّ جارحةٍ ... في كُلِّ معنىً لطيفٍ رائقٍ بَهِج

في رنَّةِ العودِ والنّايِ الرَّخيمِ إذا ... تآلفا بينَ ألحانٍ منَ الهَزَج

وفي مسارحِ غُزلانِ الخمائلِ في ... بَرْدِ الأصائلِ والإصباحِ في البَلَج

وفي مَساقِطِ أنداءِ الغَمامِ على ... بِساطِ نورٍ منَ الأزهارِ مُنْتَسَج

وفي مساحِبِ أذيالِ النَّسيمِ إذا ... أهدى إليَّ سُحَيْرًا أطيبَ الأرَج

وفي التِثامي ثغرَ الكأسِ مُرْتَشِفًا ... ريقَ المدامةِ في مُسْتَنْزَهٍ فَرِج

لم أدرِ ما غُرْبَةُ الأوطانِ وهوَ ... وخاطري أينَ كُنّا غيرُ مُنْزَعِجِ

معي

ويقول في مقامٍ آخر:

إنَّ الغرامَ هوَ الحياةُ فمُتْ بِهِ ... صَبًّا فحقُّكَ أنْ تموتَ وتُعذرا

قلْ للذينَ تقدَّموا قبلي ومَن ... بعدي ومَن أضحى لأشجاني يرى

عنّي خذوا وبيَ اقتدوا وليَ ... وتحدَّثوا بِصَبابتي بينَ الورى

ولقد خَلَوْتُ معَ الحبيبِ وبيننا ... سِرٌ أرقُّ منَ النَّسيمِ إذا سرى

اسْمعوا

وأبـــاحَ طرْفـــي نظـــرةً أوَّلتُهـــا   فغَـــدَوْتُ معروفًـــا وكنـــتُ مُنَكَّـــرا

فدُهِشـــتُ بـــينَ جمالِـــهِ وجلالِـــهِ   وغـدا لسـانُ الحـالِ عنّـي مُخْبِـرا

فـأدِرْ لِحاظَـكَ فـي محاسـنِ وجهـهِ   تَلقـى جميـعَ الحُسْـنِ منـهُ مُصَـوَّرا

لـوْ أنَّ كُـلَّ الحُسْـنِ يَكْمُـلُ صـورةً   ورآهُ كـــــانَ مُهَلِّلـــــا ومُكَبِّـــــرا

ويقول في خمريّته ذائعة الصّيت:

شـربنا علـى ذِكـرِ الحبيـبِ مُدامـةً   سكِرْنا بهـا من قبلِ أنْ يُخلَقَ الكرْمُ

لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يُديرُها   هِـلالٌ وكـم يبـدو إذا مُزِجَـتْ نَجْـمُ

ولـولا شـذاها مـا اهتـديْتُ لِحانِهـا   ولـولا سـناها مـا تصـوَّرَها الـوَهْمُ

ويقول في تائيّته المشهورة متغنّيًا بخمر الحَدَق:

سَـقَتْني حُمَيّـا الحُـبِّ راحـةُ مُقلتـي   وكأســي مُحَيّـا مَـنْ عـنِ الحُسـنِ حَلَّـت

فأوْهَمْـــتُ صَـــحْبي أنَّ شُـــرْبَ شـــرابهم   بهِ سُرَّ سِرّي في انتِشائي بنظرةِ

وبالحَـدَقِ اسـتَغْنَيْتُ عـنْ قَـدَحي ومِنْ   شَـمائلها لا مِـنْ شُـمولي نَشْـوَتي

الحبُّ في الكتاب المقدّس

ما دمنا تحت مظلّة الحبّ الإلهي، وقد استشرفنا كيف ذُكر الحبّ في القرآن الكريم، وفي سياقات مختلفة، فإنّنا سنتابع كيف ذُكر هذا الحبّ في الكتاب المقدّس ايضًا (توراة موسى، ومزامير داود، والأناجيل الأربعة، ورسالات موسى الرّسول).

هذه آيات المحبّة مختارة من الكتاب المقدّس عهد قديم (التّوراة):

1- **الرَّبُّ يَفْتَحُ أَعْيُنَ الْعُمْيِ. الرَّبُّ يُقَوِّمُ الْمُنْحَنِينَ. الرَّبُّ يُحِبُّ الصِّدِّيقِينَ.** (المزامير 8:146)

2- **مَكْرَهَةُ الرَبِّ طَرِيقُ الشِّرِّيرِ، وَتَابِعُ الْبِرِّ يُحِبُّهُ.** (الأمثال 9:15)

3- **تَرَاءَى لِيَ الرَّبُّ مِنْ بَعِيدٍ: "وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ"** (إرمياء 3:31)

4- **أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبْكِرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي.** (الأمثال 8: 17).

5- **فَأُورِثَ مُحِبِّيَّ رِزْقًا وَأَمْلأُ خَزَائِنَهُمْ.** (الامثال 21:8)

6- **يَحْفَظُ الرَّبُّ كُلَّ مُحِبِّيهِ، وَيُهْلِكُ جَمِيعَ الأَشْرَارِ.** (المزامير 20:145)

7- **"الْبُغْضَةُ تُهَيِّجُ خُصُومَاتٍ، وَالْمَحَبَّةُ تَسْتُرُ كُلَّ الذُّنُوبِ"** (أمثال 10: 12)

8- **"الصَّدِيقُ يُحِبُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَمَّا الأَخُ فَلِلشِّدَّةِ يُولَدُ"** (أمثال 17:17

9- **"الْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا"** (رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل كورنثوس (8:13)

10- " وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنا وَصَدَّقْنا المَحَبَّةَ الَّتي للهِ فِينا . اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتُ في المَحَبَّةِ، يَثْبُتُ في اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (رسالة يوحنّا الرّسول الاولى (16:4)

11- "أَمّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإيمانُ وَالرَّجاءُ وَالمَحَبَّةُ، وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ المَحَبَّةُ" (رسالة الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (13:13)

12- " أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (رسالة بطرس الرسول الاولى(22:1)

13- "أَحْبَبْتُكُمْ، قالَ الرَّبُّ" (سفر ملاخي 2:1)

14- " وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا . كَما أَحْبَبْتُكُمْ أَنا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيضاً بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (انجيل يوحنا34:13)

آيات تلتقي على المحبّة

- "أَيُّها الأَحِبّاءُ، لِيُحِبَّ بَعْضُنا بَعْضًا، لِأَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ، وَمَنْ لا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لِأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (رسالة يوحنا الرسولالأولى(84:7)
- " نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنا أَوَّلًا" (يوحنا 4:19)
- " هَلْ كَما هُوَ مَكْتُوبٌ ما لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلى بالِ إِنْسانٍ، مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِمَنْ يُحِبُّونَهُ" (كورنتوس 3:9)

نلاحظ ممّا تقدّم من أيات الكتاب المقدّس المذكورة، أنّ النّداء واحد وموحَّد ينادي للمحبّة، والتّسامح بين أتباع الدّين الواحد، وبين بني البشر كافّة.

وعلمنا علم اليقين أنّ الله محبّة، ولذا بدأت المحبّة منه للخلق أجمعين، وما عليهم إلا أن يبادلوه هذه المحبّة، لينعموا بالرّضى، والسّعادة الأبديّة في الجنّة، والتي لا يستطيع العقل تصوّرها، لأنّها فوق قدرة البصر والسّمع، وفوق قدرة الحواسّ كلّها، بل أبعد بكثير من قدرة الخيال والتخيّل.

نلاحظ أنَّ الآية الكريمة تقول:

"فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"

والأية من الكتاب المقدّس تقول:

"نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً"

والمعنى واحد وواضح أنّ الله محبّة، لذلك بدأت المحبة من ذاته العليّة، ولأنّه هو الخالق فقد وهبنا إيّاها، لكي نتزوّد بها، ولكي يؤهّلنالنبادله هذه المحبّة.

وفي الحديث الشّريف ذكر أنّ الجنّة:

"فيها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ"

ومثل ذلك وُصِفَتْ في الكتاب المقدّس:

"هَلْ كَما مَكْتُوبٌ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلى قَلْبِ إِنْسانٍ، ما أَعَدَّهُ اللهُ لِمَنْ يُحِبُّونَهُ".

ونحن -كلَّ بني آدم-نعلم أنّ الدّين لله، ومن الله لجميع النّاس، وينادي بنفس التّعاليم والمبادئ، وعلى رأسها المحبّة لكلّ بني البشر.

"يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ"

ليت النّاس يتفكّرون ويتمعّنون، ويتأمّلون دين الله، ونداءه لكلّ بني البشر، ذلك النّداءبأن يملأ الحبّ قلوبهم، وأن يسود الحبّ أقوالهم وأفعالهم،

فلو تعاملنا مع بعضنا بروح الحبّ والمحبّة؛ فإنّهحتمًاستتولّد روح الإخاء والتّفاهم، والتّسامح والتّراضي، والاتّفاق والمشاركة، وبالتّالي يعمّ السّلام والأمان بين الأفراد، وبين الجماعات، والشّعوب، فتصبح الأرض جنّةمرحليّة على طريق الجنّة الابديّة...!

وهذا الحلّاج يؤكّد على هذا المبدأ فيقول:

تَفَكَّـرْتُ فـي الأديـانِ جِـدَّ مُحَقّـقٍ فألْفَيْتُهـا أصـلًا لـهُ شُـعَبٌ جَمَّـا

فـلا تطْلُـبَنَّ للمـرءِ دينًـا فإنَّـهُ يَصُـدُّ عـنِ الأصـلِ الوَثيـقِ وإنَّمـا

يُطالبـهُ أصـلٌ يعبُـرُ عنـده جميـعُ المعـالي والمعـاني فيُفْهَمـا

أما ابن عربي فيقول في هذا المعنى:

لقد كنتُ قبلَ اليومِ أُنكِرُ صاحبي إذا لـم يكُـنْ دينـي إلـى دينِـهِ دانِ

فقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورةٍ فمرعـىً لغـزلانٍ وديـرٌ لرُهْبـانِ

وبيـتٌ لأوثـانٍ وكعبـةُ طـائفٍ وألـواحُ تـوراةٍ ومُصْـحفُ قـرآنِ

أديـنُ بـدينِ الحـبِّ أنَّـى توَجَّهَـتْ ركائبُـهُ فالـدِّينُ دينـي وإيمـاني

فهل بعدَ أو قبلَ هذا الحبِّحبٌّ ...!!

لا والله...!

إنّها دعوة كريمة من الله، بأن نتوجّه بحبّنا أوّلًا إليه تعالى، وأن نبادله حبّه الأوّل والسّابق لوجودنا ولحبّنا له. فهو لشدّة حبّه لكلّ واحد من خلقه، يخبره ويبوح له بأنّه يحبّه، ويدعوه برقّة وحنان أن يبادله هذا الحبّ بمثله.

إنّ الله قد وهبنا قلبًا محبًّا، يمتلئ حبًّا لكثير من النّاس، وكثير من الأشياء، ولكنعلينا أن نتنبّه بأنّنا لا نملك أن نحتفظ بأسباب هذا الحبّ كما نريد ومتى نريد.فالمحبوبة سوف تدركها الشّيخوخة يومًا ما، وتسرق وضاءة شبابها وجمالها، وكذلك المحبوب. والجاهالذي تمتّعنا به، أو تمتّع به المحبوب، وكان سببًا للحبّ، يمكن أن ينتهي ويزول بزوال أسبابه، وكذلك المال الذي يمكن أن يكون سببًا للحبّ، يمكن أن يُسلب أو نخسره، أو ينتهي. وهيأسباب مباشرة لفتور ذلك الحبّغالبًا، وربّما لتلاشيه. والقلبُ سُمّي قُلَّبًا لكثرة تحوّله وتقلّبه من حالٍ الى حال. فهو إن أحبّ اليوم، فربّما لا تغيب شمس هذا اليوم الّا على هجرٍ أو نسيان. (سيّما في أيّامنا هذه وفي خضمّ أمواج ما يُدعى بالحرّيّة التي لا وجهة لها سوى تدميرالبناء الاجتماعيّ الثابت، ونشر ثقافة الفوضى والإنفلاتوالتشتّت، ومرض التّوحّد والانهيار الأسريّ والاجتماعيّ).

فمَن هو المحبوب الذي لا تسري عليه قوانين التغيُّر والفناء؟ ولا يزول سرّ جماله وجلاله، ولا دفق عطائه، فيبقى مَعينًا لهذا القلب، فيظل مليئًا طافحًا بحبّه ...؟!

إنّه هو ذاك المحبوب الّذي لا يتحوّل، ولا يتغيّر عن حاله، ولا يفنى، ولا يزول، إنّه الاوّل والآخِر، ذو الجلال والاكرام، ذو الجمال المطلق-وهو الله سبحانه وتعالى- الذي لا يليق بنالّا أن نسكب حبّنا الخالص في وضاءة نوره وجماله، وهو خالق الإنسان، وبديع أسرار الجمال، وموجد المكان والزّمان، وباعث كلّ ما يبعث في النّفس السّعادة والحبور، والأمانوالرّضوان.

فليس هناك من هو جدير بالحبّ الخالص، الطّاهر، النّقي، لنقدّم حبّه على حبّ الله (سبحانه وتعالى) ...!

لا والله...

الحُــــبُّ لِلـــرَّحْمنِ جَــلَّ جَلالُــــهُ   هُــوَ مُسْـتَحِقُّ الحُـبِّ وَالأشْـواقِ

فَاصْرِفْهُ لِلْمَلِكِ الْجَليلِوَلُذْ بِهِ مِنْ كُلِّ ما تَخْشاهُ مِنْ إرْهاقِ(عائض القرني - اشراقات _321)

ويقول الإمام الشّافعي:

" كلّما تعلّقتَ بشخصٍ تعلُّقًا أذاقكَ اللهُ مُرَّ التّعلُّقِ، لِتَعْلَمَ أنَّ اللهَ يَغارُ على قَلْبٍ تَعَلّقَ بِغَيْرِهِ، فَيَصُدُّكَ عَنْ ذاكَ لِيَرُدَّكَ إلَيْهِ".

هذا هو الله الذي يحبّنا، ويحبّ لنا الخير والصلاح، وهذا لا يتأتّى إلّا إذا كان حبّه هو الأوّل. ولنحبّ بعده ما نشاء ومن نشاء، فلا خوف بعد ذلك من الخطأ لأن الحبّ الأول هو الوازع في كل شأنٍ بعده، وهو الذي يوازن بين أنواع المحبّة المختلفة.

ويقول الحلّاج في حبّ الذّات الالهية وهو من أجمل القول:

وَاللهِ مــا طَلَعَــتْ شَمْسٌــوَلاغَرَبَتْ   إلا وَحُبُّــكَ مَقْــرونٌ بِأنْفاســي

وَلا خَلَــوْتُ إلـــى قَــوْمٍ أحَــدِّثُهُم   إلّــا وَأنْــتَ حَـديثي بَـيْنَ جُلّاسـي

وَلا ذَكَرْتُــكَ مَحْزونــاً وَلا فَرِحًــا   إلّــا وَأنْـتَ بِقَلْبـي بَـيْنَ وَسْواسـي

وَلاهَمَمْتُ بِشُرْبِ الْماءِ مِنْ عَطَشٍ   إلّـا رَأَيْـتُ خَيالًـا مِنْـكَ فـي الْكـاسِ

وَلَـوْ قَـدِرْتُ عَلَـى الإتيـانِ جِئْـتُكُمُ   سَـعْيًا عَلَـى الْوَجْـهِ أوْ مَشْـيًا عَلَـى الرّاسِ

وَيـا فَتـى الْحَـيِّ إنْ غَنّيْـتَ لـي طَرَبًـا   فَغَنِّنــي وَأَسَـفا مِـنْ قَلْبِـكَ الْقاسـي

فإن كان حبّنا لله متماهيًا بهذا القدر، سيكون كلّ حبٍّ سواه متّزنًا بالقدر، والاتّجاه المقبول والمعقول، والذي ننتظر أن يأتي أكُله الطيّب كلّ حين.

ونخلص إلى القول:

إنّ الحبّ عاطفة مشروعة، وليست ممنوعة

الحبّ عاطفة جميلة، وإيجابيّة، أوجدها الله بين عباده، وهي التي تجعل للحياة نكهة طيّبة، ولونًا جميلًا، ورائحةً زكيّة، ومنظرًا رائقًاأخّاذًا، فما كان الحبّ في نظر وشرع الاسلام وفي شرع سائر الأديان السّماويّة يومًا محرّمًا، أو ممنوعًا، أو عيبًا، طالما أنه يتفيّأ في ظلال التّقوى، ويرتوي من ينابيع الإيمان، وينساب بين النّاس كما النّسيم العليل، ينعش الارواح، ويسرّ القلوب، ويسكب فيها راحة، وسكينة، وهدوءًا نفسيًا، فيتحابّ النّاس، كلّ النّاس، من جميع المشارب، في كلّ مناحي الحياة، وليس فقط بين رجل وامرأة ، وكما أراد الله ورسوله، ليسود السّلام ، ويعمر الكون بالحبّ وكأنّه الجنّة سبقت الى الأرض.

ولكن فلْتبقَ درجة حبّ الله هي الأولى والأوْلى، حتّى تكون هي الوازع، والضّابط لدرجة التّقدم في طريق هذا الحبّ، حتّى لا يهوي بمن يعتنقه في مهاوي الخسران، ولكي يكون بوصلة توجّهنا الى سبيل الرّشاد في كلّعلاقة، وفي كل عمل، أو تصرّف وفي كلّ شيء.

ولعلّه مما يثبت الدّعوةالى اتّخاذ الحبّ في الله منهجًا، بأن تسنح الفرصة لنطّلع على الدّرجة العليا في حبّ الله كما ينثر دررها ابن الفارض المحبّ الولهان للذّات الإلهية:

"وينظر ابن الفارض والصّوفيون كذلك إلى حبّ الله، على أنه أصل في وجود الخلق، وأيضًا واسطة في سريان الحياة، والحركة في المخلوقات جميعًا، استنادًا الى الحديث القدسيّ الشّريف:

" كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا، فأَحْبَبْتُ أنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ، فيهِ عَرَفوني"

أي في لطيف حبّه المبذول للخلق عرفوه.

لذا...!

سارعوا إلى محبوبٍ لا يخون، ولا يهجر، ولا يزول، ولا يتغيّر ... إلى محبوب حبّه لكم حبٌّ أوّلُ، وسابقٌ، ودائمٌ، وأبديٌّ.

سارعوا إلى محبوبٍ جماله لا يدركه الزّمن، ولا تعبث فيه أسباب التّغيّر والفناء.

سارعوا إلى من خلقكم بكلمة حبٍّ مخلصة، ووفّر لكم كلّ أسباب الهناء والسّعادة، والمتعة في هذه الحياة الجميلة، الفانية...!

تمتّعوا بالحبّ من إشراقة حبّه.

أحبّوا...!

أحبّوا كما هداكم الله وأراد لكم، حبًّا لا يتعارض مع حبّه هو، ولا مع شرعته التي شرع لكم. لأنّ في إرادته وهُداه سرّ السّعادة والمتعة الحقيقيّة لبني البشر، وبهذا يصبح الحبّ نوعًا من العبادة أيضًا.

وقد سُئل الهادي (صلى الله عليه وسلم) ذات مرة:

- مَنْ أحبُّ النّاس اليك.

قال:

- عائشة.

قالوا:

- ومِنَ الرّجال.

قال:

- أبوها.

فالحبّهنا صراحة وعلنًا، ولكنه لا يختلط ولا ينافي، لأنه في ظل الله، فالحبّ في الله، وفي شرع الله، وتحت مظلة الله، أمرٌ مُرادٌ ومحمودٌ ومقبول.

أحبّوا الله كماأحبّكم ...!

وليكن شعارناجميعًافي حبّه:

شَـرِبْتُ الْحُـبَّ كَأْسًـا بَعْـدَ كَـأْسِ فَمَـا نَفَـدَ الشَّـرابُ وَمَـا رُويـتُ

فمن اتّبع هدى الرّحمن، وسار على خُطى الرسول الحبيب، وسائر الرّسُل، وعلى طريق الحقّ والإيمان، سينعم بحياة ملؤها البشر والرّضى، في الحياة الدّنيا، ومن ثَمّ في الحياة الاخرى.وبهذا يظفر بحياة هنيئة، في ظلّ رضاه، وفي نور جماله، وفي واسع رحمته ...ملؤها الخير والسلام والتحابّ والعطاء لكلّ بني البشر، لأنّ ذلك قوام الحياة الطّيّبة في الدّنيا، فيجعلها تغدوكأنّها فصْلٌ من فصول الحياة في الجنّة.

إنّها رحلة لا تنتهي في عوالم الحبّ، فإن كان حقيقيًّا، مُخْلصًا، طاهرًا، فهو حتمًا سيُدخلنا دار الخلود.

عيد الحبّ (الفالنتاين)

(كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)

منهج الحياة العربيّة، والإسلاميّة، منهج يطفح بآيات الحبّ، الحبّ لكلّ بني البشر، وسبق أن كانت لنا إطلالة على هذا العالم الذي يغذّيهويكتنفه الحبّ، من أصغر ذرّة إلى أكبر مجرّة.

فما بال أمّتنا العربيّة والإسلاميّة، ترقص طربًا وجذلًا ليوم أسْمَوْهُ "عيد الحُبّ"...؟!

وكأنّهم لم يسمعوا، أو يعوا هذه الكلمة إلا عندما وفدت إليهم من الغرب. ألم يخبرنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) أنّ الجنّة تحت أقدام الامّهات، ألم يخبرنا أن صلة الرحم من أولى الأولويات في دين الله، ألم يخبرنا أن يحبّ الجار جاره....والقائمة طويلة تشمل كلّ بني البشر، فما بالنا نتسابق على استيراد افكار غربيّة غريبة؟ وكأنّنا لم نسمع ولم نعلم أنّ هناك حبًّا، وأنّ هناك علاقة وتواصلًا بين النّاس، إلّا عندما صدّر لنا الغرب هذه الأفكار، وهذه المناسبات، فهل نحن بحاجة الى عيد لكي نحب بعضنا بعضًا ...؟ وليومٍ واحد ومحدد، وما هي قصّة هذا العيد؟ إبحثوا عنها

ألا يروقنا أن نحبّ بعضنا في كلّ وقت، وكلّ حين، حبًّا يرضاه الله والرّسول وهو القاعدة لديننا وعقيدتنا وأعرافنا؟

مهلًا...!

لا جديد في عيدهم...!

فالحبّ أصلٌ من أصول ديننا، وجميع الأديان السّماويّة، وسنّةٌمن سُنَنِنبيِّنا، وعُرْفٌ من أعراف أمَّتنا العربيّة الأصيلة. عودوا إلى جادّة الدّين، وستجدون الحبّ في كلّ خطوة تخطونها، وفي كلّ يوم وساعة ولحظة تمرّ بكم، ولكنّه الحبّ الذي يملأ الأرض سلاماً ومحبّة ووئاماً، دون أن نحتاج أن نصبغ واجهات بيوتنا ومحالّنا التّجاريّة باللّون الأحمر، ودون أن نجعل الدُّبّ ينوب عنّا في إيحاء لغة ورموز الحبّ. أمّا الحبّ الذي يحمله اللّون الأحمر، أو الدّببة – والذي يُقصد به حبًّا بين الشّباب والصّبايا-فإنّه يكون حبًّا بلون الثّلج نقيًّا طاهرًا، إن كان مشروعًا وعلى سنة الله ورسوله، ولا يحتاج للّون الأحمر، ولا لقلوب الدّببة.

فلا يغرّنّكم أنّه عيد مستورد من الغرب، لكي تؤمنواأنّه صالح لكلّ زمان ومكان. فليس كلّ ما يصدّره الغرب يجب أن يسحرنا، ونؤمن بصلاحيّته لنا.

والآية الكريمة صريحة :

" فَجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشي عَلى اسْتِحْياءٍ"

فاستمال ذلك الحياء قلب نبيّ الله شعيب (عليه السلام)وأمهرها ثماني أو عشر حجج من الرّعي عند أبيها.

وصدق رسول الله إذ قال:

"الحَياءُ شَطْرُ الإيمانِ".

وهو الذي يجعل الحياة، والتّعامل، والعلاقات تتّسم بالجمال والذّوق والأدب، ولا تنفلت في غير وجهة ولا اتّجاه، فيسود الحبّ بين النّاس، على اختلاف مواقعهم، وعلاقاتهم، بروح التّوازن، والاتّزان، في شتّى المجالات، وتنوّع الأهداف، ولا ينقلب إلى مجرّد شعار يتقاذفه النّاس، ويتبارزون في التّشدّق بعباراته غير الصّادقة.

هَمَساتٌبَيْنَ الْحاءِ وَالْباءِ...!

وبعد هذه الرّحلة الجميلة والمتأمّلة فيمختلف المواقف والهمساتبين الحاء والباء، وأسرار التّهاوي والارتقاء، سَمَت بنا أرواحنا، تارةً الى أعالي السّماء، وشاهدت ملكوت الحبّ والرّضى والخلود والثّناء، وتارة هوت بنا الى وادٍ سحيق، وتلظّت بالنّار والحريق، وشاهدت كلّ انواع العذاب، في عالم ملأه شهيق الشّرك، وزفير العتاب.

بعد هذا كلّه نخرج من باب التّعامي عن الحقيقة، وندخل من بوابة المعاني الدقيقة، بأنّ الحبّ إحساس وعاطفة مشروعة، لا يتعارض مع الدّين ولا مع الأعراف الموضوعة، طالما اكتسى بأثواب العفاف، وأبقى على الدّرجة العليا من الحبّ لخالق المخلوقات المرئيّ منها أواللطيف الشّفّاف.

فلنحبّ بعضنا بعضًا، ولكن تحت مظلّة الدّين واليقين، ولنحترم هذه النّعمة ولنحفظها، بحيث لا نفاضل بين حبّ الله، وحبّ الدّنيا بأسرها.

فلنظفر بما نحبّ ولكن بأسلوب ربّانيّ راقٍ.

فلنتّبع الهُدى والرّشاد، فلا نقول، ولا نعمل، إلّا ما يرضي ربّنا ذا الجلال والإكرام. وبهذا نفوز بما نحبّ ونريد في الدّارين، فلا نُحرَم من الحبّ ونعيمه وأسراره الدنيويّة، ونعيمه المقيم وأسراره الأُخرويّة، إذا تتبّعنا طريق الرّشاد في المسار الاوّل الفاني، وإذا ما أرضينا الله فيه، فهو حتمًا سيرضينا في المسار الأبديّ الثّاني.

وانتظرواالجنّة الموعودة، التي عرضها السّموات والأرض، أُعدّت للمتّقين.فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. هناك تُقطف ثمار الحبّ الخالص الحقيقيّ.

اللهمّ اجعلنا وايّاكم، وجميع المسلمين، وجميع المؤمنين، على اختلاف انتماءاتهم، ومشاربهم، ممّن يفوزون بالجنّةونعيمها، وبنعمة النّظر الى وجه ربّنا، القُدّوس السُّبوح، ربّ الملائكة والرّوح، وربّ الثقلين، ومنعِم نعمة الحبّ على كل الخلائق، من الذَّرَّة إلى المجرّة، وكلّ ما هو أصغر من ذلك وكلّ ما هو أكبر.

آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر

1) القرآن الكريم.
2) صحيح مسلم والبخاري.
3) كتاب " قوة الحب والتسامح" – د.ابراهيم الفقي. سم اللنشر 2012.
4) كتاب "خيوط الذهب من أد بالعرب" – أحمدعبد العزيز إدريس – 1989
5) كتاب "طوقالحمامة" – ابن حزم الأندلسي-مكتبة النافذة 2006.
6) الشبكة العنكبوتية الإنترنيت).
7) الطّبّ النّبويّ–ابن قيم الجوزيّة (مكتبة منصور غزة 2002).
8) الموسوعة الشاملة – الرسالة القشيرية.
9) شرح نهج البلاغةج11 – ابن ابي الحديد.

تعريف بالكاتبة

مـن مواليـد قريـة زلفـة، أنهـت المرحلـة الإبتدائيّـة فـي مدرسـة زلفـة الإبتدائيّة، ثم أنهت المرحلة الثانويّة في مدرسة راهبات الفرنسيسكان الثانويّة للبنات في النّاصرة .

هي أو لمعلّمة من قريتها زلفة. إنضمّت إلىسلك التّعليم وعملت في صفوف البساتين بين السنوات 1968 – 2004، عملت خلاله اكأوّ لمرشدة للّغة وأدبا لأطفال في الرّوضات والبساتين في وادي عارة، ومرشدة عامة أيضاً بين السنوات 1994-1992.

ثم عملت بين السنوات 1997-1995 مركّزة مركز الإثراء والفن ونفي أم الفحم.

وعملت في إعداد برامج الطفولة المبكرة –قسم المناهج- جامعة حيفا. في السنوات 1997-1992 و2001-2000.

تكتب الشّعر، والخاطرة، والقصّة القصيرة، والمقالة، وقصص الأطفال.

حصلت على شهادة تقدير من نقابة المعلّمين – فرع الخضيرة––2003 2018.

حصلت على جائزة التفرّغ الأدبيّ من وزارة الثّقافة والعلوم والرّياضة عام2008 .

كُرّمت منقِبَل مؤسّسة الأسوار العكّيّة وتحت رعاية مؤسّسة دياكونيا السّويديّة عام 2008

كُرّمت من قِبَل مؤسّسة " سنابل المجد" أم- الفحم 2018
حصلت على شهادة بكالوريوس في التّربية عام 2001
تتطوّع في تقديم ورشات عمل، ومحاضرات في موضوع الطّفولة المبكرة، وأدب الأطفال، واللغة العربية في جميع أنحاء البلاد.

مؤلّفات الكاتبة

1. أنشودة الصباح – دار الهدى للطباعة والنشر – عز الدين عثامنة2000.

1.1. أنشودة الصباح – دار الهدى للطباعة والنشر كريم -2015 .

2. أغاني أولادنا إنتماء لبلادنا – وزارة العلوم والرياضة قسم الثقافة العربية-2001.

2.1. أغاني أولادنا إنتماء لبلادنا طبعة ثانية – دار النهضة للطّباعة والنّشر الناصرة- 2005

2.2. أغاني أولادنا إنتماء لبلادنا طبعة ثالثة – دار الهدى للطّباعة والنّشر كريم2011.

3. في صفّ البستان – مكتبة كلّ شئ حيفا2002.

4. مخالب القطّة 2002 طبعة أولى – مكتبة كلّ شئ حيفا.

5. حلزونبلزون- مكتبة كلّ شئ – حيفا -2002.

6. شمس الأطفال- مكتبة كلّ شئ – حيفا -2002.

6.1. شمس الأطفال باللغة الإنجليزيّة – مكتبة كلّ شئ – حيفا – 2004.

7. سوار والقمر مكتبة كلّ شئ- حيفا – 2003.

8. منكسر البيضة مكتبة كلّ شئ – حيفا- 2003.

9. ليلى الحمراء في الشّوارع والأحياء – مكتبة كلّ شئ – حيفا- 2005.

10. المهندسة الصّغيرة يارا – مكتبة كلّ شئ- حيفا2007.

11. البحرالأحمر – دار النهضة للطّباعة والنّشر - النّاصرة2008.

12. الكركس والدّوري – دار الهدى للطّباعة والنّشر كريم – 2008.

13. الهديّة السحريّة – دار الهدى للطباعة والنّشر كريم – 2010 .

14. المكواة – دار الهدى للطباعة والنشر كريم -2009.

15. نبات بلادي – دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2014.

16. عيون القدس – مؤسّسة الأفق للثّقافة والفنون – ديوان شعر2014.

سلسلة قوس قزح :

17. قصة قوس قزح- مكتبة كل شيء- حيفا- 2016
18. الشتاء – مكتبة كل شيء – حيفا
19. الفطر الأحمق – مكتبة كل شيء – حيفا
20. الحلزون بلّوط – مكتبة كل شيء – حيفا
21. عيد ميلاد الغيمات – مكتبة كل شيء – حيفا
22. حوار في سلّة الخضار – مكتبة كل شيء – حيفا
23. الكرة الشائكة – دار الهدى للطباعة والنشر كريم –2017
24. المقلاع– دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017
25. أُمّي يا أميرة -دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017 (من سلسلة المحبّة)
26. أُختي دُنى - دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017 (من سلسلة المحبّة)

27. مـا أحـلاهُ - دار الهـدى للطباعـة والنشـر كـريم – 2017 (مـن سلسـلة المحبّة)
28. خَيال - دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017 (من سلسلة المحبّة)
29. مَن يُلاعبُني؟- دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017 (من سلسلة المحبّة)
30. جَدِّي- دار الهدى للطباعة والنشر كريم – 2017 (من سلسلة المحبّة)
31. مـا أجمـلَ البيّـارة- دار الهـدى للطباعـة والنشـر كـريم – 2017 (مـن سلسلة المحبّة)
32. الطَّيَّـارُ الصَّـغير- دار الهـدى للطباعـة والنشـر كـريم – 2017 (مـن سلسلة المحبّة)

الحبُّ لغةُ العطاء..... - 9 -
السِّرُّ..... - 10 -
الحُبُّ هَمْسُ السِّحر...!..... - 10 -
الحُبُّ تَرْنيمَةٌ شَفّافةٌ وصلاة..... - 10 -
" فِي البدءِ كانَتِ الكَلِمَةُ "..... - 11 -
الحُبُّ بَيْنَ النَّاس..... - 12 -
طيْفٌ مِمّا قيلَ في الحُبّ..... - 13 -
الحبُّ في حدائق الشِّعر ..... - 14 -
أقوالٌ في الحُبِّ..... - 18 -
آياتُ الْحُبِّ في السّماء:..... - 25 -
آياتُ الحُبِّ في الأرْض: ..... - 25 -
آياتُ الحبِّفي قلبِ الأرض:..... - 25 -
الحُبُّ في القُرْآن الكَريم: ..... - 26 -
(لا أُحِبُّ الآفِلِينَ)..... - 27 -
(شرح الجلالين)..... - 28 -
(شرح الشّعراوي)..... - 28 -
الْغَرام..... - 57 -
الحبُّلغةُ الرُّوح ...! ..... - 59 -
أسرارُالحُبّ..... - 60 -
الحُبُّ عالَمٌ مفروشٌ بالورود..... - 61 -
فلْنُحبَّ..... - 61 -

الحبُّ في الكتاب المقدّس ..... - 66 -
آيات تلتقي على المحبّة ..... - 67 -
فهل بعدَ أو قبلَ هذا الحبِّحبٌّ ...!!..... - 70 -
إنّ الحبّ عاطفة مشروعة، وليست ممنوعة..... - 71 -
أحبّوا...!..... - 73 -
أحبّوا الله كماأحبّكم ...! ..... - 73 -
عيد الحبّ (الفالنتاين) ..... - 74 -
" فَجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشي عَلى اسْتِحْياءٍ"..... - 75 -
"الحَياءُ شَطْرُ الإيمان". ..... - 75 -
هَمَساتٌبَيْنَ الْحاءِ وَالْباءِ...!..... - 75 -
المصادر..... - 77 -
تعريف بالكاتبة..... - 79 -
مؤلّفات الكاتبة..... - 81 -
سلسلة قوس قزح :..... - 83 -